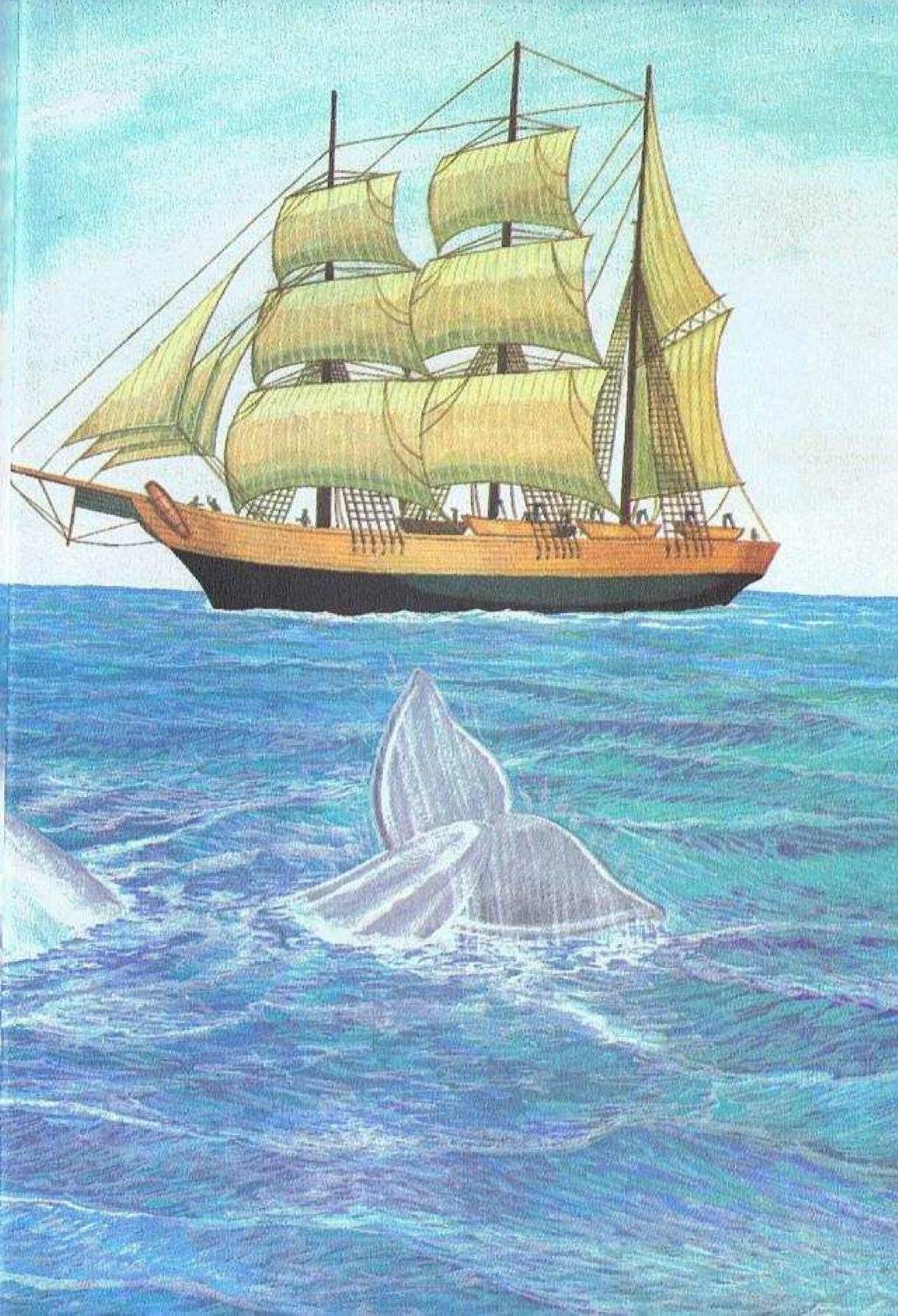
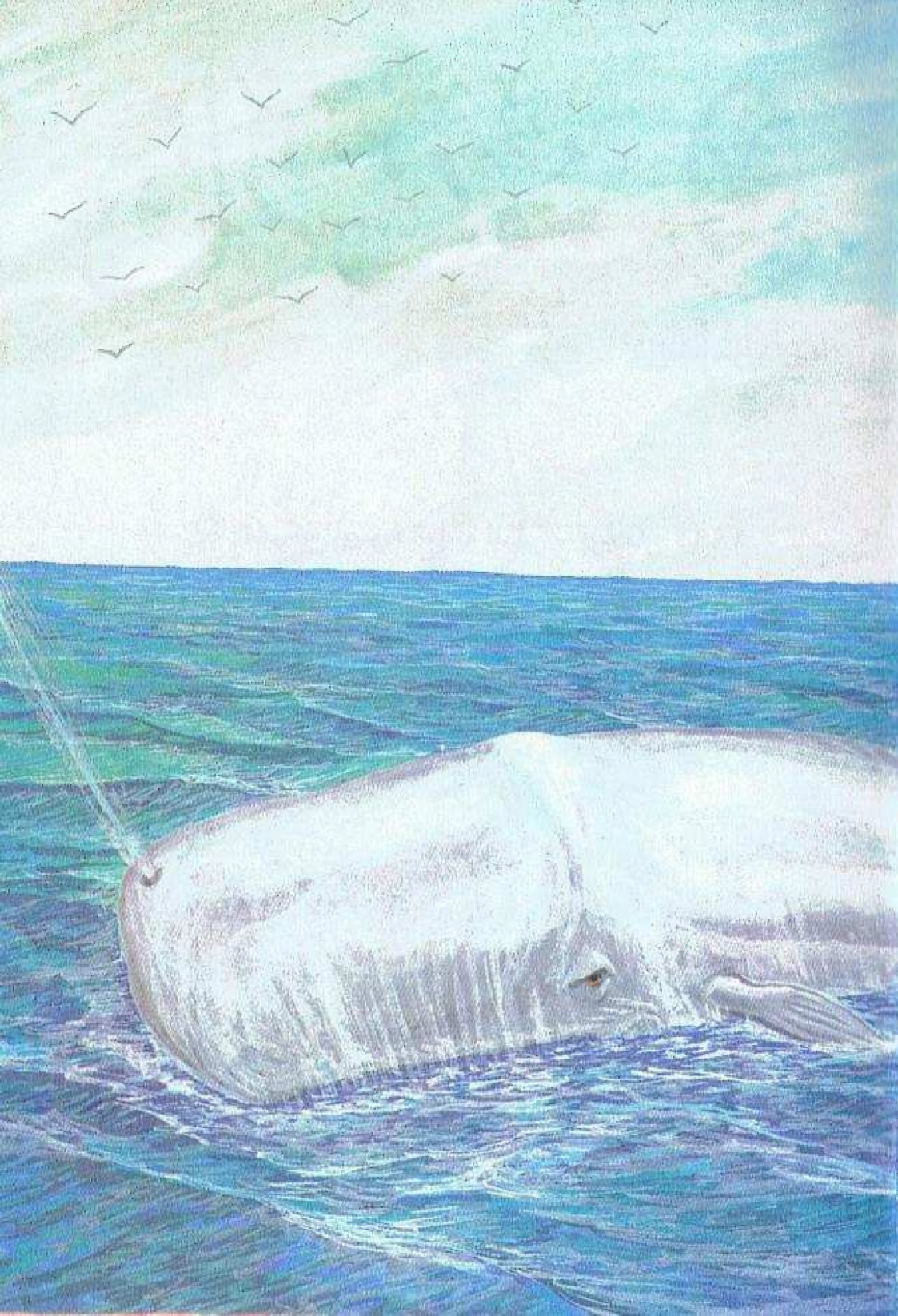


# موني داي

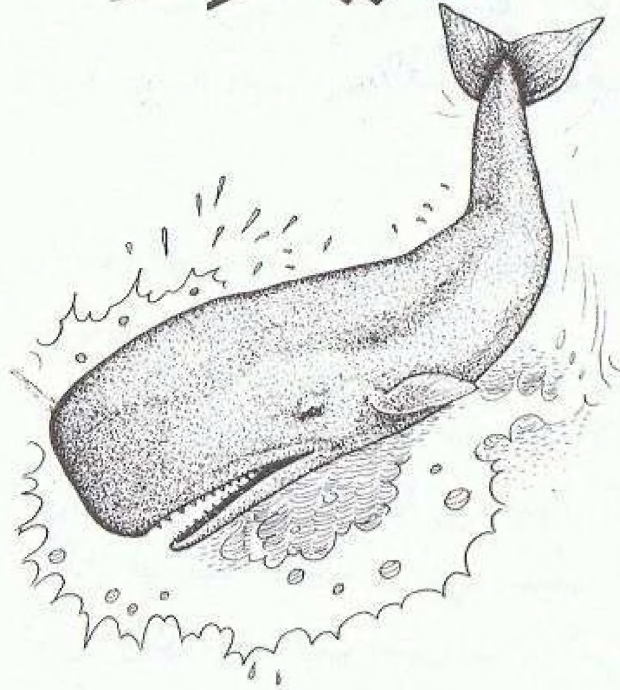


المغامرات المثيرة





# مُونِي دِلِي



تأليف : هرمان ملقيل  
أعدها بالعربية : علي عبد الهادي منيب  
رسوم : ممدوح الفرماوي

مَكْتَبَةُ لِبْنَات

رئيس التحرير : وجددي رزق غالي

© الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان ١٩٩٢

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة ، مصر

جميع الحقوق محفوظة : لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب ، أو تخزينه  
أو تسجيله بأي وسيلة ، أو تصويره دون موافقة خطية من الناشر .

الطبعة الأولى ١٩٩٢

رقم الإيداع : ٥٦٠٠ / ١٩٩٢

الترقيم الدولي : ٢ - ١٦ - ٠٠٩٨ - ٩٧٧ ISBN

طبع في دار نوبل للطباعة

## الفصل الأول الفندق الصغير

اسمي إسماعيل ، وسأقص عليكم قصة عن إحدى الرحلات البحرية التي قُمتُ بها منذ بضعة أعوام .

كان من عاداتي أن أبحث عن سفينة لأبحر فيها عندما لا أجد معي نقوداً ، وأشعر بالحاجة إلى تغيير . إنني لا أبحر في إحدى السفن الضخمة الفاخرة ، التي يستقلها الأغنياء ويتناولون فيها أشهى المأكولات وأطيب المشروبات ، لأنني لا أملك مالا كافياً يسمح لي بذلك . ولا أبحر كذلك في أي سفينة لأعمل فيها طباًخاً أو عاملاً من عمال النظافة ، ولكنني دائماً أحرص على أن أبحر في السفينة كبحار بسيط .

في أول الأمر ، كان لا يروق لي أن أتلقى أوامر من أحد ، لأن ذلك لا يتناسب مطلقاً مع حياتي العادية ، حيث اعتدت إصدار

الأوامر للآخرين . ولكنني - في وقت وجيز - تعودت هذا التغيير . فعندما يأمرني الربان بتنظيف سطح السفينة فليس لي إلا أن أطيع هذا الأمر ، لأنني أعرف تماماً أنه على صواب ، إنهم يدفعون لي أجراً على عملي بالسفينة ، وإنني أعمل لأتقاضى هذا الأجر ، فضلاً عن أنني أنعم خلال أدائي لهذا العمل بهواء البحر النقي ، وأستمتع بالرياح الطبيعية التي تهب عليه .

في هذه المرة - وبعد تفكير عميق - قررت أن أبحر على سفينة لصيد الحيتان .

هناك سفن عديدة تقوم بصيد الحيتان في المحيط ؛ للحصول على ما يحتوي عليه جسد الحوت من زيت ثمين ذي قيمة كبيرة . وتعتبر جزيرة نانتوكت - التي تقع عند الساحل الشرقي لأمريكا الجنوبية - أفضل الأماكن لوجود هذه السفن . لذلك اقتضى الأمر أن أذهب إلى هذه الجزيرة ، عن طريق القارب الذي يُبحر إليها من مدينة نيويورك ، التي وصلت إليها ليلة يوم من أيام السبت ، ولكنني لم ألحق بالقارب الذي كان قد غادرها من قبل ، قاصداً جزيرة نانتوكت ، وبات من المحتم علي البقاء في نيويورك ليلة أخرى أو أكثر .

وَقَفْتُ فِي وَسْطِ أَحَدِ شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ الَّتِي لَا ضَوْءَ فِيهَا ، وَاللَّيْلُ  
يُرْخِي سُدُولَهُ ، وَقَدْ تَمَلَّكَتَنِي الْحَيْرَةُ ؛ فَأَيْنَ أَقْضِي تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَلَيْسَ  
مَعِيَ مِنَ النُّقُودِ إِلَّا الْقَلِيلُ .

قُلْتُ لِنَفْسِي : « إِسْمَاعِيلُ ، عَلَيْكَ أَنْ تَسْعَى إِلَى الْمَبِيتِ فِي  
حُجْرَةٍ ، بِشَرْطِ أَلَّا يَكُونَ أَجْرُهَا كَبِيرًا . »

قَادَتْنِي قَدَمَايَ نَحْوَ شَاطِئِ الْبَحْرِ حَيْثُ شَاهَدْتُ قُنْدَقًا صَغِيرًا ،  
يَنْبَعُثُ مِنْ دَاخِلِهِ نُورٌ خَافِتٌ ، وَيَصِلُ إِلَى أُذُنَيَّ أَصْوَاتُ نَزْلَائِهِ .  
وَعِنْدَمَا فَتَحْتُ الْبَابَ وَقَعَ نَظْرِي عَلَى مِنْضَدَةٍ طَوِيلَةٍ مُنْحَنِيَةٍ انْحِنَاءَ  
الْقَوْسِ ، يَقِفُ خَلْفَهَا رَجُلٌ يَبِيعُ الْمَشْرُوبَاتِ إِلَى بَعْضِ الْبَحَّارَةِ .

وَكَانَ الْمُتَعَامِلُونَ مَعَهُ يُطْلِقُونَ عَلَيْهِ اسْمَ « يُونَانَ » لِأَنَّ شَكْلَ هَذِهِ  
الْمِنْضَدَةِ يُشَبِّهُ الْعِظَامَ السُّفْلَى لِفَكِّ الْحَوْتِ ، وَفِي الْإِنْجِيلِ قِصَّةٌ  
تَحْكِي أَنَّ أَحَدَ الْحِيتَانِ قَدْ ابْتَلَعَ قَدِيسًا يُدْعَى يُونَانَ .

قَصَدْتُ صَاحِبَ الْفُنْدُقِ سَائِلًا إِيَّاهُ : « هَلْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَجِدَ غُرْفَةً  
أَقْضِي فِيهَا اللَّيْلَةَ ؟ »

أَجَابَ : « لَا . الْفُنْدُقُ كُلُّهُ مَشْغُولٌ ، وَلَا يَوْجَدُ بِهِ غُرْفَةٌ  
وَاحِدَةٌ خَالِيَةً . » ثُمَّ اسْتَطَرَدَّ مُسْتَفْسِرًا بَعْدَ تَفْكِيرٍ : « هَلْ تُشَارِكُ أَحَدَ  
النُّزَلَاءِ فِرَاشَهُ ؟ »

سَأَلْتُ عَلَى الْفَوْرِ : « مَعَ مَنْ ؟ »

رَدَّ قَائِلًا : « مَعَ أَحَدِ صَيَّادِي الْحِيتَانِ . هَلْ تَوَدُّ مُشَارَكَتَهُ فِي  
غُرْفَتِهِ ؟ »

هُنَا قَدْ يَكُونُ مِنَ الْمَلَائِمِ أَنْ أَذْكَرَ شَيْئًا عَنْ عَمَلِ هَؤُلَاءِ  
الصَّيَّادِينَ ؛ إِنَّهُمْ يَسْتَخْدِمُونَ نَوْعًا مِنَ الْحِرَابِ ذَاتِ أَطْرَافٍ حَادَّةٍ  
مُنْحَنِيَةٍ إِلَى الْخَلْفِ ، لِدَرَجَةٍ أَنَّ الصَّيَّادَ عِنْدَمَا يَرْشُقُ إِحْدَاهَا فِي  
جَسَدِ الْحَوْتِ لَا يُمَكِّنُ نَزْعُهَا . وَالْحَرْبَةُ مَرْبُوطَةٌ بِحَبْلِ تَجْعَلُ  
الْحَوْتَ - بَعْدَ إِصَابَتِهِ بِهَا - يَسْبَحُ بَعِيدًا جَاذِبًا قَارِبَ الصَّيِّدِ خَلْفَهُ  
بِهَذَا الْحَبْلِ .

وَيَعْنِي هَذَا أَنَّ صَيَّادِي الْحِيتَانِ يَتَمَيِّزُونَ بِالْقُوَّةِ وَالْخَشُونَةِ . وَلِذَلِكَ  
قُلْتُ لِصَاحِبِ الْفُنْدُقِ ، عِنْدَمَا سَأَلَنِي عَنْ مُشَارَكَةِ أَحَدِهِمْ فِي  
غُرْفَةِ نَوْمِهِ : « إِنَّ الْأَمْرَ يَتَوَقَّفُ عَلَى الصَّيَّادِ نَفْسِهِ . وَلَكِنِّي مِنَ  
الْمُحْتَمَلِ أَلَّا أَوَدَّ مُشَارَكَةَ أَحَدِ هَؤُلَاءِ الصَّيَّادِينَ فِي حُجْرَتِهِ . »

وَجَاءَ رَدُّ صَاحِبِ الْفُنْدُقِ : « هَذَا هُوَ الْمَوْقِفُ ، وَلَيْسَ لَدَيَّ حَلٌّ  
آخَرَ عَلَى الْإِطْلَاقِ . »

وَبَعْدَ أَنْ فَكَّرْتُ مَلِيًّا فِي قَضَاءِ لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ عَاصِفَةٍ خَارِجَ  
الْفُنْدُقِ ، قُلْتُ مُضْطَرًّا : « لَا مَنَاصَ مِنْ مُشَارَكَةِ أَيِّ شَخْصٍ فِرَاشَهُ »

حَتَّى وَلَوْ كَانَ مِنْ هَذَا النَّوعِ مِنَ الصَّيَّادِينَ .

قالَ صَاحِبُ الْفُنْدُقِ : « إِنِّي أَعْتَقِدُ ذَلِكَ أَيْضًا . اسْتَرحْ قَلِيلًا .  
يَبْدُو أَنَّكَ فِي حَاجَةٍ إِلَى تَنَاوُلِ طَعَامِ الْعِشَاءِ . سَيَكُونُ مُعَدًّا لَكَ فِي  
الْحَالِ .

وَفِي غُرْفَةٍ أُخْرَى لَا تَدْفَعُ فِيهَا قَدَمَ صَاحِبِ الْفُنْدُقِ الطَّعَامَ لِي  
وَلِبَعْضِ النَّزَلَاءِ الْآخَرِينَ ، حَيْثُ قَالَ أَحَدُهُمْ : « الْجَوْ هُنَا قَارِسُ الْبَرْدِ  
كَمَا لَوْ كُنَّا فِي جَزِيرَةِ آيسْلَنْدَا .

رَدَّ عَلَيْهِ صَاحِبُ الْفُنْدُقِ قَائِلًا : « مَعْدِرَةٌ ! لَيْسَ مَعِيَ مِنَ النُّقُودِ  
مَا يَتِيحُ لِي أَنْ أَشْعِلَ نَارًا فِي مِدْقَةِ الْغُرْفَةِ .

أَمْسَكَتُ فِنْجَانَ الشَّايِ السَّاخِنِ بَيْنَ يَدَيَّ طَلَبًا لِلتَّدْفِئَةِ ، وَأَمَامَنَا  
عَلَى الْمَائِدَةِ طَعَامٌ ، يَتَكَوَّنُ مِنْ بَطَاطِسَ وَعَصِيدَةٍ مَعْلِيَّةٍ مُكَوَّنَةٍ مِنْ  
دَقِيقٍ وَسَمْنٍ وَسُكَّرٍ . وَبَدَأَ أَحَدُنَا - وَهُوَ شَابٌّ يَرْتَدِي مِعْطَفًا أَخْضَرَ  
الْلَّوْنِ - فِي تَنَاوُلِ الطَّعَامِ فِي لَهْفَةٍ ، قَائِلًا : « إِنِّي أَشْعُرُ بِجُوعٍ  
شَدِيدٍ .

قالَ لَهُ صَاحِبُ الْفُنْدُقِ : « يَا بُنَيَّ ، إِنَّكَ إِذَا تَنَاوَلْتَ الطَّعَامَ بِهَذِهِ  
الشَّرَاهَةِ فَسَتَشَاهِدُ أَحْلَامًا مَزْجَجَةً فِي نَوْمِكَ .

عِنْدَئِذٍ هَمَسَتْ سَائِلًا صَاحِبَ الْفُنْدُقِ : « أَلَيْسَ هَذَا الشَّابُّ هُوَ

صَيَّادُ الْحَيْتَانِ الَّذِي سَأَشَارُكَهُ حَجَرَتَهُ ؟ »

« لَا ، فَهَذَا يَبْدُو صُورَةً ضَعِيفَةً بِالنِّسْبَةِ لَهُ . فَالصَّيَّادُ رَجُلٌ أَسْوَدُ  
الْبَشَرَةِ ، لَا يَتَنَاوَلُ مِثْلَ هَذِهِ الْحَلَوِيَّاتِ مِنَ الْأَطْعِمَةِ أَبَدًا ، بَلْ يَأْكُلُ  
اللُّحُومَ الْحَمْرَاءَ فَقَطْ .

« وَآيْنَ هَذَا الصَّيَّادُ ؟ هَلْ هُوَ مَوْجُودٌ هُنَا ؟ »

أَجَابَ صَاحِبُ الْفُنْدُقِ : « سَيَحْضُرُ عَلَى الْفُورِ .

لَمْ أَشْعُرْ بِالْإِرْتِيَاحِ بِصَدَدِ مُشَارَكَتِي لِشَخْصٍ آخَرَ فِي غُرْفَتِهِ ،  
وَخَطَرَ بِيَالِي أَنْ أَنْتَظِرَ حَتَّى يَأْوِيَ ذَلِكَ الصَّيَّادُ إِلَى فِرَاشِهِ أَوَّلًا .  
وَهَكَذَا قَضَيْتُ الْمَسَاءَ مُصْغِيًا إِلَى الْبَحَّارَةِ ، الَّذِينَ وَصَلَتْ سَفُنُهُمْ  
نَوًّا إِلَى الْمِينَاءِ ، وَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ رِحَالَتِهِمْ وَآخِرِ الْأَخْبَارِ لَدَيْهِمْ ،  
عَلَى حِينِ ظُلِّ يُونَانَ مَشْغُولًا بِتَقْدِيمِ الْمَشْرُوبَاتِ ، وَالضُّوْضَاءِ  
وَالصُّخْبِ فِي الْمَكَانِ يَزْدَادَانِ بِالتَّدْرِيجِ .

وَفِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ عِنْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ جَاءَ صَاحِبُ  
الْفُنْدُقِ وَقَالَ لِي : « لَنْ تَرَى الصَّيَّادَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ ، وَلَا دَاعِي  
لِلانْتِظَارِ . سَأَحْضُرُ مُصْبَحًا وَأَرْشِدُكَ إِلَى غُرْفَتِكَ .

وَصَعَدْنَا مَعًا إِلَى حُجْرَةٍ صَغِيرَةٍ بَارِدَةٍ ، بِهَا سَرِيرٌ كَبِيرٌ جَدًّا  
يَكْفِي لِنَوْمِ أَرْبَعَةِ رِجَالٍ .

وَقَالَ صَاحِبُ الْفُنْدُقِ : « خُذْ رَاحَتَكَ فِي هَذِهِ الْحُجْرَةِ ، وَاتَمَنَّى  
لَكَ لَيْلَةً طَيِّبَةً . »

وَتَرَكَ الْمَصْبَاحَ ثُمَّ غَادَرَ الْمَكَانَ .

## الفصل الثاني

### صَيَادُ الْحَيْتَانِ

خَلَعْتُ مَلَاسِي عَلَى الْفُورِ رَغَمَ سُعُورِي بِالْبَرْدِ الشَّدِيدِ ، وَقَفَزْتُ  
إِلَى الْفِرَاشِ ، الَّذِي اكْتَشَفْتُ صَلَابَتَهُ وَخُسُونَتَهُ وَكَأَنَّهُ مَحْشُورٌ بِقِطْعِ  
مِنَ الْحِجَارَةِ ، جَعَلْتَنِي لَا أَسْتَطِيعُ النَّوْمَ لِفَتْرَةٍ مِّنَ الْوَقْتِ ، وَلَكِنِّي  
اسْتَغْرَقْتُ فِي النَّوْمِ بَعْدَهَا مِنْ فُرْطِ الْإِعْيَاءِ .

وَلَمْ تَكَدْ تَمْضِي بِضْعُ سَاعَاتٍ حَتَّى أَيْقَظَنِي فَجَاءَةٌ وَقَعَ أَقْدَامُ  
ثَقِيلَةٍ ، وَفَتَحْتُ عَيْنِي لَأَرَى شَخْصًا غَرِيبًا يَدْخُلُ الْحُجْرَةَ . لَمْ يَلْتَفِتْ  
نَحْوَ السَّرِيرِ ، فَاحْتَفَظْتُ بِهَدُوءِي لِأَنِّي لَمْ أَشَاهِدْ وَجْهَهُ فِي أَوَّلِ  
الْأَمْرِ ؛ وَلَكِنَّهُ عِنْدَمَا اسْتَدَارَ نَحْوَ ضَوْءِ الْمَصْبَاحِ دَعَا اللَّهَ فِي نَفْسِي  
أَنْ يُنْقِذَنِي مِنْهُ !

يَا لَهُ مِنْ وَجْهِ مُخِيفٍ لَمْ أَرِ مِثْلَهُ مِنْ قَبْلُ !

إِنَّهُ وَجْهٌ أَسْوَدٌ أَرْجَوَانِي اللَّوْنُ ، تَعْلُوهُ ضِمَادَاتٌ صَفْرَاءُ وَسَوْدَاءُ  
هُنَا وَهَنَّاكَ .

نَعَمْ - كَمَا تَوَقَّعْتُ بِالضَّبْطِ - إِنَّهُ شَخْصٌ قَطِيعٌ لَا أَطِيقُ  
مُشَارَكَتَهُ فِي عُرْفَةٍ نَوْمٍ وَاحِدَةٍ . وَيَبْدُو أَنَّهُ اشْتَرَكَ فِي مُشَاجَرَةٍ ؛ حَيْثُ  
وَضَعَ أَحَدُ الْأَطِبَّاءِ - عَلَى إِثْرِهَا - تِلْكَ الضَّمَادَاتِ عَلَى وَجْهِهِ  
عِلَاجًا لِمَا أَصَابَهُ مِنْ رُضُوضٍ وَجُرُوحٍ .

وَتَبَيَّنَ لِي كَذَلِكَ أَنَّ عِلَامَاتِ « الْوَشْمِ » الْمُرْسُومَةِ عَلَى وَجْهِهِ  
تَبْدُو كَأَنَّهَا بُقَعٌ مَصْبُوعَةٌ . فَتَذَكَّرْتُ حِينَئِذٍ قِصَّةَ بَعْضِ الْبَحَّارَةِ ،  
الَّذِينَ وَقَعُوا أَسْرَى فِي قَبْضَةِ رِجَالٍ مُتَوَحِّشِينَ ، مَنَقُوشٍ عَلَى  
وُجُوهِهِمْ وَأَجْسَامِهِمْ مِثْلُ تِلْكَ الْعِلَامَاتِ . وَتَخَيَّلْتُ أَنَّ رُسُومَ الْوَشْمِ  
عَلَى وَجْهِ هَذَا الرَّجُلِ مَنَقُوشَةٌ بِنَفْسِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ .

قُلْتُ لِنَفْسِي وَأَنَا أَشْعُرُ بِالْأَسْفِ مِنْ أَجْلِهِ : « وَلَكِنْ هَذَا كُلُّهُ لَا  
يَعْدُو أَنْ يَكُونَ مَظْهَرُهُ الْخَارِجِيُّ فَحَسَبُ ، وَلَا يُنْبِئُ لَوْنُ الْبَشَرَةِ عَنْ  
مَعْدِنِ الْإِنْسَانِ . وَمِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ أَمِينًا مُخْلِصًا مَهْمَا  
كَانَ لَوْنُ بَشَرَتِهِ .

ظَلَّ هَذَا الرَّجُلُ الْغَرِيبُ غَيْرَ مُهْتَمٍّ بِالنَّظَرِ إِلَى الْفِرَاشِ ، الْأَمْرُ

الَّذِي أَعَانَنِي عَلَى مُرَاقَبَتِهِ وَهُوَ يَخْلَعُ قُبْعَتَهُ ، فَكَشَفَ عَنْ رَأْسٍ أَصْلَعَ  
لَا شَعْرَ فِيهِ ، اللَّهُمَّ إِلَّا خُصْلَةً صَغِيرَةً مَعْقُودَةً عَلَى قِمَّتِهِ . وَلَمْ  
يَمْنَعْنِي مِنَ الْهُرُوبِ خَارِجَ الْحُجْرَةِ إِلَّا وَقُوفُهُ حَائِلًا بَيْنِي وَبَيْنَ  
الْبَابِ .

مَكَثْتُ رَاقِدًا فِي مَضْجَعِي أُرْتَعِدُ مِنَ الْخَوْفِ ، حَرِيصًا عَلَى  
مُلَاحَظَةِ تَحَرُّكَاتِهِ . فَأَخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ تِمْثَالًا صَغِيرًا مِنَ الْخَشَبِ  
وَوَضَعَهُ فِي مَكَانِ الْمِدْفَأَةِ ، وَأَخَذَ يَرِصُ أَمَامَهُ بَعْضًا مِنَ الْقِطْعِ  
الْخَشَبِيِّ الصَّغِيرَةِ ، وَوَضَعَ عَلَيْهَا قِطْعَةً مِنَ الْخُبْزِ الْجَافِ السَّمِيكِ ،  
مِنْ ذَلِكَ النَّوعِ الَّذِي يَتَنَاوَلُهُ الْبَحَّارَةُ فِي السُّفُنِ أَثْنَاءَ رِحْلَتِهِمْ . وَبَعْدَ  
أَنْ أَشْعَلَ فِيهَا النَّارَ أَخَذَ قِطْعَةَ الْخُبْزِ وَقَدَّمَهَا إِلَى التَّمْثَالِ الْخَشَبِيِّ  
الصَّغِيرِ مُتَرَنِّمًا بِأَغْنِيَةٍ عَجَبِيَةٍ . وَبِطَبِيعَةِ الْحَالِ لَمْ يُحَرِّكِ التَّمْثَالُ  
سَاكِنًا ، فَأَعَادَهُ فِي الْحَالِ إِلَى جَنْبِهِ بَعْدَ أَنْ أُخْمِدَ النَّارُ ، ثُمَّ أَطْفَأَ  
الْمِصْبَاحَ وَأَوَى إِلَى الْفِرَاشِ .

انْطَلَقْتُ صَبِيحَةً مِنِّي وَابْتَعَدْتُ عَنْهُ ، وَنَهَضْتُ مُسْرِعًا لِأَشْعَلَ  
الْمِصْبَاحَ مِنْ جَدِيدٍ .

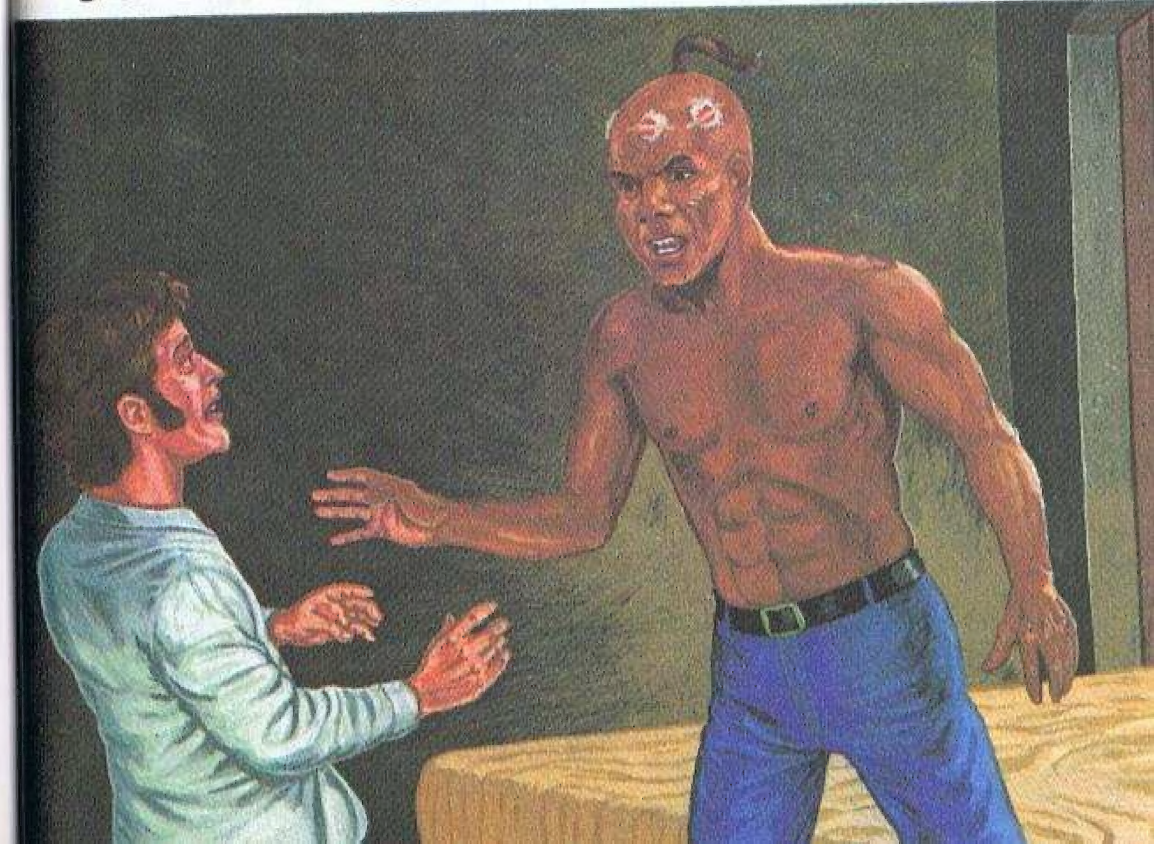
وَنَادَيْتُ صَاحِبَ الْفُنْدُقِ لِيُنْقِذَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ .

وَعِنْدَيْكَ نَطَقَ هَذَا الْمَارِدُ الْأَسْوَدُ مُلَوَّحًا بِذِرَاعَيْهِ نَحْوِي : « مَنْ أَنْتَ ؟ تَكَلِّمْ ، وَإِلَّا قَتَلْتُكَ ! »

حَمْدًا لِلَّهِ أَنْ وَصَلَ صَوْتُ اسْتِغَاثَتِي لِصَاحِبِ الْفُنْدُقِ ، الَّذِي حَضَرَ تَوًّا قَائِلًا وَهُوَ يَضْحَكُ : « لَا تَخَفْ ، وَهَدِئِي مِنْ رَوْعِكَ . إِنَّ هَذَا الصَّيَّادَ يُدْعَى كَوَيْكُوعٌ ، وَلَكِنْ يَمَسُّ شَعْرَةً وَاحِدَةً مِنْ رَأْسِكَ . »

صَرَخْتُ فِي وَجْهِهِ قَائِلًا : « كَفِّ عَنْ هَذَا الضَّحِكِ . لِمَاذَا لَمْ تُخْبِرْنِي بِشَيْءٍ عَنْ هَيْئَةِ هَذَا الصَّيَّادِ أَوْ شَكْلِهِ ؟ »

قَالَ صَاحِبُ الْفُنْدُقِ مُخَاطِبًا كَوَيْكُوعًا : « هَذَا الرَّجُلُ



سَيُشَارِكُكَ الْفِرَاشَ . هَلْ فَهَمْتَ مَا أَقْصِدُ ؟ »

رَدَّ كَوَيْكُوعٌ : « نَعَمْ . » ثُمَّ انْتَصَبَ جَالِسًا وَأَشْعَلَ غَلْيُونَهُ وَأَخَذَ يَسْتَمْتَعُ بِالتَّدْخِينِ .

وَخَاطَبَنِي قَائِلًا بِطَرِيقَةٍ مُهَذَّبَةٍ لَطِيفَةٍ لِلْغَايَةِ وَهُوَ يُفْسِحُ لِي مَكَانًا فِي الْفِرَاشِ : « تَفَضَّلْ . »

حَانَتْ لِي فُرْصَةٌ النَّظَرِ إِلَيْهِ فِي ضَوْءِ الْمِصْبَاحِ ، وَتَبَيَّنَتْ أَنَّهُ رَجُلٌ نَظِيفٌ حَسَنُ الشَّكْلِ .

وَقُلْتُ سَاحِرًا مِنْ نَفْسِي : « يَا لَهَا مِنْ ضَجَّةٍ كُبْرَى افْتَعَلْتُهَا ! فَلَا مُبَرَّرَ لَدَيَّ يَجْعَلُنِي أَتَوَجَّسُ خِيفَةً مِنْ هَذَا الرَّجُلِ ، فَلَمْ يَكُنْ ثَمَلًا . وَمِنْ الْأَفْضَلِ بِالنِّسْبَةِ لِي أَنْ أَنَامَ مَعَهُ فِي عُرْفَةٍ وَاحِدَةٍ عَنْ أَنْ أَنَامَ مَعَ رَجُلٍ مِنَ الْمُدْمِنِينَ لِلْخَمْرِ . »

وَاسْتَطَرَدْتُ قَائِلًا لِصَاحِبِ الْفُنْدُقِ : « أَرْجُو أَنْ تُخْبِرَهُ بِأَنْ يَكْفِيَ عَنِ التَّدْخِينِ ؛ إِذْ لَا يَرَوْقُنِي أَنْ يُلَازِمَنِي فِي الْفِرَاشِ رَجُلٌ تَفُوحُ مِنْهُ رَائِحَةُ الدُّخَانِ ؛ فَإِنْ فِي ذَلِكَ خَطُورَةٌ بِالْغَةِ . »

أُطْفَأَ كَوَيْكُوعٌ غَلْيُونَهُ وَدَعَانِي مَرَّةً أُخْرَى بِكُلِّ أَدَبٍ لِلنَّوْمِ فِي الْفِرَاشِ .

قُلْتُ لِصَاحِبِ الْفُنْدُقِ : « الْآنَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَفَضَّلَ بِالْإِنْصِرَافِ ،  
وَأَسْعِدَ اللَّهَ مَسَاءَكَ ! »

ثُمَّ أُوِيْتُ إِلَى الْفِرَاشِ . وَلَمْ أُنَمْ فِي حَيَاتِي قَطُّ أَفْضَلَ مِنْ نَوْمِي  
فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ .

### الفصل الثالث

#### كويكوغ

عِنْدَمَا اسْتَيْقَظْتُ فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي ، لَمْ أَسْتَطِعِ الْقِيَامَ مِنَ  
الْفِرَاشِ ؛ فَقَدْ كُنْتُ وَاقِعًا تَحْتَ ضَغْطِ ذِرَاعِ كُويكوغ الضَّخْمَةِ ،  
وَلَا طَاقَةَ لِي بِرَفْعِهَا . وَحَاوَلْتُ جَاهِدًا التَّخَلُّصَ مِنْهُ دُونَ جَدْوَى ،  
بِسَبَبِ قَبْضَتِهِ الشَّدِيدَةِ وَهُوَ مُسْتَغْرَقٌ فِي النَّوْمِ .

نَادَيْتُهُ صَائِحًا : « كُويكوغ ! كُويكوغ ! اسْتَيْقِظْ ! »

وَبَعْدَ كَثِيرٍ مِنَ التَّقَلُّبِ وَالِدُّوْرَانِ وَالْإِسْتِمْرَارِ فِي الْكِفَاحِ تَمَكَّنْتُ  
أَخِيرًا مِنْ أَنْ أَنْزِعَ نَفْسِي مِنْ ثِقَلِ ذِرَاعِهِ . وَحِينَئِذٍ اسْتَيْقَظَ كُويكوغ  
وَجَلَسَ مُنْتَصِبًا فِي السَّرِيرِ ، وَأَخَذَ يَنْظُرُ إِلَيَّ وَهُوَ يَفْرُكُ عَيْنَيْهِ كَمَا لَوْ  
كَانَ قَدْ نَسِينِي تَمَامًا .

وَأَخِيرًا عَزَمَ عَلَى التَّهَوُّضِ مِنَ الْفِرَاشِ . وَأَدْرَكْتُ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ إِلَّا  
بَعْضَ كَلِمَاتٍ مِنَ اللُّغَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ ، عِنْدَمَا حَاوَلَ بَعْضَ الْأَصْوَاتِ

وَالْإِشَارَاتِ أَنْ يُخْبِرَنِي بِأَنَّهُ سِيرَتَدِي مَلَابِسَهُ أَوَّلًا ، ثُمَّ يُغَادِرُ الْغُرْفَةَ وَيَتْرُكُهَا لِي . فَبَادَرْتُ قَائِلًا لَهُ : « شُكْرًا لَكَ ، يَا كُوبِكُوغ ! أَشْكُرُكَ عَلَى هَذَا الْأَدَبِ الْجَمِّ » .

ثُمَّ قُلْتُ لِنَفْسِي : « حَقًّا ، إِنَّكَ لَا تَرَى رَجُلًا مِثْلَ كُوبِكُوغ كُلِّ يَوْمٍ . إِنَّنِي مَحْظُوظٌ جَدًّا لِمُقَابَلَةِ هَذَا الْمَخْلُوقِ اللَّطِيفِ الرَّقِيقِ » .

أَحْسَسْتُ أَنَّي قَلِيلُ الدُّوْقِ وَأَنَا رَاقِدٌ فِي الْفِرَاشِ الْأَحِقَّةِ بِنَظَرَاتِي ، وَرَعَمَ ذَلِكَ أَخَذْتُ أَرَاقِبَهُ وَهُوَ يَرْتَدِي مَلَابِسَهُ بِفَضُولٍ لَيْسَ مِنْ حُسْنِ الْأَخْلَاقِ فِي شَيْءٍ ، وَعُذْرِي فِي ذَلِكَ أَنِّي لَا أَصَادِفُ رَجُلًا مِثْلَ كُوبِكُوغ كُلِّ يَوْمٍ ، فَهُوَ جَدِيرٌ بِالْمُلَاحَظَةِ ، وَسُلُوكُهُ وَتَصَرُّفَاتُهُ تُغْرِي بِالْمُتَابَعَةِ .

فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ ، وَضَعَ قُبْعَتَهُ عَلَى رَأْسِهِ ، ثُمَّ أَخَذَ يَبْحَثُ عَنْ حِذَائِهِ .

سَأَلْتُ نَفْسِي فِي شَغَفٍ : « مَاذَا سَيَفْعَلُ بَعْدَ ذَلِكَ ؟ »

لَقَدْ جَلَسَ تَحْتَ السَّرِيرِ لِيَرْتَدِي حِذَاءَهُ . إِنَّنِي لَمْ أَسْمَعْ قَطُّ طَوَالَ حَيَاتِي عَنْ شَخْصٍ يُخْفِي نَفْسَهُ وَهُوَ يَلْبَسُ الْحِذَاءَ .

أَخِيرًا ظَهَرَ ثَانِيَةً وَقُبْعَتُهُ مَكْبُوسَةٌ فَوْقَ عَيْنَيْهِ . ثُمَّ بَدَأَ فِي حِلَاقَةِ

لِحْيَتِهِ ، مُسْتَعْمِلًا نَصْلَ الْحَرْبَةِ الَّتِي يَسْتَعْدِمُهَا فِي صَيْدِ الْحَيْتَانِ ، وَانْتَهَمَكَ فِي إِزَالَةِ شَعْرٍ وَجْهَهُ بِشَفْرَتِهَا الْحَادَّةِ . وَبَعْدَ أَنْ أَنْتَهَى مِنْ هَذِهِ الْمُهْمَةِ سَارَ مَرْهُوًّا بِنَفْسِهِ ، خَارِجًا مِنَ الْحُجْرَةِ مُلْتَقًا فِي مَعْطَفِهِ ، حَامِلًا حَرْبَتَهُ .

ارْتَدَيْتُ مَلَابِسِي وَنَزَلْتُ عَلَى الْفُورِ إِلَى صَالَةِ الْفُنْدُقِ ، وَهُنَاكَ ابْتَدَرَنِي صَاحِبُ الْفُنْدُقِ بِالتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ .

رَدَدْتُ التَّحِيَّةَ قَائِلًا : « صَبَاحُ الْخَيْرِ . لَقَدْ سَخِرْتَ بِالتَّأَكِيدِ مِنْ تَصَرُّفَاتِي اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَةَ ! » ثُمَّ ابْتَسَمْتُ لِأَنَّنِي لَا أُسْتَطِيعُ أَنْ أَلُومَهُ عَلَى شَيْءٍ . فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ فَإِنَّ أَفْضَلَ مَا يُمْكِنُ عَمَلُهُ هُوَ إِطْلَاقُ ضِحْكَةٍ عَالِيَةٍ ، وَهَذَا مَا وَاجَهَنِي بِهِ صَاحِبُ الْفُنْدُقِ ، وَلَكِنِّي لَمْ أَبْدِ اهْتِمَامًا بِأَنْ أَكُونَ أَنَا الْمَقْصُودُ بِهِذِهِ الضَّحْكَةِ وَمَا يُخْفِي وَرَاءَهَا مِنْ مَغْرَى .

تَجَمَّعَ نِزْلَاءُ الْفُنْدُقِ فِي هَذِهِ الصَّالَةِ الَّتِي كَادَتْ تَكْتَضُ عَنْ آخِرِهَا . وَكَانُوا جَمِيعًا مِنْ صَيَّادِي الْحَيْتَانِ عَلَى وَجْهِ التَّقْرِيبِ . إِنَّهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الرُّجَالِ يَتَّصِفُونَ بِالشَّجَاعَةِ وَالْقُوَّةِ ، وَمَعْظَمُهُمْ يُطْلِقُونَ لِحَاهُمْ .

وَعِنْدَمَا دَعَانَا صَاحِبُ الْفُنْدُقِ لِتَنَاوُلِ طَعَامِ الْإِفْطَارِ ، ذَهَبْنَا جَمِيعًا إِلَى الْحُجْرَةِ الْأُخْرَى تَلِيَّةً لِلدَّاءِ .

وَقَسَمَهَا جُزْأَيْنِ ، دَفَعَ بِجُزْءٍ مِنْهُمَا نَحْوِي قَائِلًا : « هَذَا لَكَ . »

قُلْتُ : « لَا ، لَنْ أَخَذَ نُقُودَكَ . »

قَالَ : « نَحْنُ نَقْتَسِمُ هَذِهِ النُّقُودَ مَعًا . » ثُمَّ وَضَعَ نَصِيبي فِي جَيْبِي .

سَأَلْتُهُ : « أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ بَلَدٍ أَتَيْتَ ؟ » فَأَخَذَ يَقْصُ عَلَيَّ بِلُغَتِهِ  
الْإِنْجِلِيزِيَّةِ الْبَسِيطَةِ مَا يَلِي :

« بِلَادِي عِبَارَةٌ عَنْ جَزِيرَةٍ نَائِيَةٍ تُسَمَّى كُوكُوفُوكُو ، عَلَى مَسَافَةٍ  
بَعِيدَةٍ جِهَةَ الْجَنُوبِ الْغَرْبِيِّ . وَالَّذِي مَلَكَ هَذِهِ الْجَزِيرَةَ ، وَبَصِفَتِي  
ابْنَهُ الْأَكْبَرَ قَانَا أَمِيرَهَا ، وَلَكِنِّي أَتَوَقَّعُ إِلَى الْإِنْطِلَاقِ بَعِيدًا عَنْ  
الْجَزِيرَةِ ؛ أَمَلًا فِي مُشَاهَدَةِ الْعَالَمِ الْخَارِجِيِّ . وَلَمْ يَكُنْ تَحْقِيقُ هَذِهِ  
الرَّغْبَةِ بِالْأَمْرِ الْيَسِيرِ ، لِأَنَّ وَالِدِي لَمْ يَكُنْ لِيَسْمَحَ لِي بِمُغَادَرَةِ  
الْبِلَادِ . وَفِي النِّهَايَةِ ، رَسَتْ إِحْدَى السُّفُنِ عَلَى الْجَزِيرَةِ ؛ فَانْتَهَزْتُ  
هَذِهِ الْفُرْصَةَ ، وَتَقَدَّمْتُ إِلَى رَبَّانِهَا ، فَوَافَقَ عَلَيَّ أَنْ يَأْخُذَنِي مَعَهُ  
شَرْطًا أَنْ أَعْمَلَ عَلَى السَّفِينَةِ كَبَحَّارٍ عَادِيٍّ . وَخِلَالَ هَذِهِ الرَّحْلَةِ  
الْبَحْرِيَّةِ تَعَلَّمْتُ الْكَثِيرَ ، وَأَصْبَحْتُ أَحَدَ صَيَّادِي الْحِيتَانِ الْمُدْرِبِينَ . »

سَأَلْتُهُ مُسْتَفْسِرًا : « وَمَاذَا تَتَوَقَّعُ أَنْ تَفْعَلَ الْآنَ ؟ »

أَجَابَ قَائِلًا : « أُرِيدُ أَنْ أَبْحَرَ مَرَّةً أُخْرَى بِأَسْرَعٍ مَا يُمَكِّنُ . »

## الفصل الرابع الصَّدِيقُ كُوكُوكُوغُ

قَضَيْتُ طِيلَةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَتَجَوَّلُ حَوْلَ الْمِينَاءِ الصَّغِيرِ حَتَّى الْمَسَاءِ ،  
ثُمَّ عُدْتُ إِلَى الْفُنْدُقِ حَيْثُ وَجَدْتُ كُوكُوكُوغُ جَالِسًا أَمَامَ الْمِدْفَاقَةِ .  
شَعَرْتُ بِالْإِرْتِيَاحِ عِنْدَمَا شَاهَدْتُهُ مَرَّةً أُخْرَى ، وَجَلَسْتُ بِجِوَارِهِ مُبْدِيًا  
لَهُ بَعْضَ الْإِشَارَاتِ الْوُدِّيَّةِ ، بِإِذِلَاءٍ أَقْصَى مَا فِي وَسْعِي لِلتَّحَدُّثِ  
مَعَهُ ، ثُمَّ بَادَرْتُ بِسُؤَالِهِ : « هَلْ تَسْمَحُ لِي أَنْ أَشَارَكَكَ عَرَفَتَكَ مَرَّةً  
أُخْرَى هَذِهِ اللَّيْلَةَ ؟ » فَبَدَأَ عَلَيْهِ السَّرُورُ كَمَا تَوَقَّعْتُ .

أَجَابَ : « أَجَلٌ . أَجَلٌ . » ثُمَّ أَشْعَلَ غَلِيُونَهُ وَجَلَسْنَا مَعًا أَمَامَ  
الْمِدْفَاقَةِ نُدْخُنُ فِي هُدُوءٍ وَاسْتِرْخَاءٍ . وَتَوَثَّقْتُ عَرَى الصَّدَاقَةِ بَيْنَنَا ، وَبَدَأَ  
عَلَيْهِ أَنَّهُ قَدْ ارْتَاحَ لِصُحْبَتِي ، الْأَمْرُ الَّذِي دَعَانِي بِكُلِّ تَأَكِيدٍ إِلَى أَنْ  
أُبَادِلَهُ هَذَا الْوُدَّ وَهَذِهِ الْمَشَاعِرَ الطَّيِّبَةَ .

وَبَعْدَ فِتْرَةٍ مِنَ الْوَقْتِ ، أَخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ مَا كَانَ مَعَهُ مِنَ نُقُودٍ

قُلْتُ : « إِنِّي أَيْضًا أُرِيدُ أَنْ أُبْحَرَ . وَعَدًا أَقْصِدُ جَزِيرَةَ نَانْتُوكِت ،  
حَيْثُ أَمَلُّ أَنْ أَجِدَ سَفِينَةً أَعْمَلُ عَلَيْهَا . »

« سَأَذْهَبُ مَعَكَ ، وَسَنْبَحِرُ مَعًا عَلَى سَفِينَةٍ وَاحِدَةٍ . »

سَعِدْتُ سَعَادَةً غَامِرَةً بِهَذِهِ الْفِكْرَةِ ، لِأَنَّ كُويْكُوغَ أَحَدَ  
الصَّيَّادِينَ الَّذِينَ لَدَيْهِمْ دِرَايَةٌ بِكُلِّ شَيْءٍ عَنْ سُفُنِ صَيْدِ الْحِيتَانِ ،  
وَالرُّجَالِ الَّذِينَ يُجْهِدُونَ عَلَيْهَا ، فِي حِينِ أَنَّي لَا أَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ  
ذَلِكَ ، وَمُصَاحَبَتُهُ لِي سَتُعَاوِنُنِي كَثِيرًا فِي حَيَاتِي الْجَدِيدَةِ .

صَحْتُ قَائِلًا : « كُويْكُوغَ ! هَذِهِ فِكْرَةٌ رَائِعَةٌ ! »

وَتَصَافَحْنَا فِي سُرُورٍ وَمَرَحٍ ابْتِهَاجًا بِعَزْمِنَا عَلَى الْعَمَلِ مَعًا .

وَعِنْدَمَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ ، صَعِدْنَا إِلَى غُرْفَتِنَا وَرَقَدْنَا فِي فِرَاشِنَا وَأَطْفَأْنَا  
الْمِصْبَاحَ ، وَفِي الْحَالِ رُحْنَا فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ .

وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي ، دَفَعْتُ حِسَابَ الْفُنْدُقِ لَنَا نَحْنُ الْاِثْنَيْنِ  
مِنَ النُّقُودِ الَّتِي أَعْطَانِيهَا كُويْكُوغَ أَمْسٍ . وَكَانَ صَاحِبُ الْفُنْدُقِ لَا  
يَفْتَأُ يَضْحَكُ عَلَى مَا بَدَرَ مِنِّي فِي اللَّيْلَةِ الْأُولَى .

وَحَاطَبَنِي قَائِلًا بِتَعْجَبٍ : « يَا لَهُ مِنْ أَمْرِ يُشِيرُ الدَّهْشَةَ وَالْعَجَبَ !  
هَلْ أَصْبَحْتُمَا أَصْدِقَاءَ فَجْأَةً ، وَلَنْ تَعُودَ تَخَافُ مِنْ كُويْكُوغَ بَعْدَ

الآن ؟ »

ضَحِكْتُ وَأَعْرَبْتُ لَهُ عَنْ امْتِنَانِي لِحُسْنِ مُعَامَلَتِهِ . وَغَادَرْنَا  
الْفُنْدُقَ ، ثُمَّ اسْتَأْجَرْنَا عَرَبَةً نَحْمِلُ عَلَيْهَا مَتَاعَنَا إِلَى الْقَارِبِ  
الصَّغِيرِ ، الَّذِي سَيَنْقُلُنَا إِلَى جَزِيرَةِ نَانْتُوكِت .

## الفصل الخامس

### السَّفِينَةُ يِكُود

عِنْدَمَا وَصَلْنَا إِلَى نَانْتوكِت كَانَ اللَّيْلُ قَدْ خِيَمَ عَلَى الْجَزِيرَةِ .  
وَكَانَ صَاحِبُ الْفُنْدُقِ بِنْيُودْفُورْد قَدْ أَوْصَانَا بِأَنْ نَقِيمَ فِي فُنْدُقٍ مُرِيحٍ  
بِالْجَزِيرَةِ ، يَمْلِكُهُ أَخُوهُ ، وَقَالَ لَنَا : « فِي ذَلِكَ الْفُنْدُقِ سَتَتَنَاوَلَانِ  
أَشْهَى حَسَاءٍ سَمَكٍ ، لَمْ تَتَذَوَّقَا مِثْلَهُ فِي حَيَاتِكُمَا ! »

اسْتَقْبَلَتْنَا زَوْجَةُ صَاحِبِ الْفُنْدُقِ السَّيِّدَةُ هَاسِي بِتَرَحُّابٍ شَدِيدٍ ،  
وَقَدَّمَتْ لَنَا حَسَاءَ السَّمَكِ الْمَشْهُورِ فِي وَجْبَةِ الْعِشَاءِ ، ثُمَّ أَعْطَتْنَا  
مِصْبَاحًا نَصْعَدُ بِهِ إِلَى عُرْقَةِ النَّوْمِ . وَلَكِنْ عِنْدَمَا شَرَعْنَا فِي الصُّعُودِ  
قَالَتْ لَنَا : « مَمْنُوعٌ أَخَذُ حِرَابِ الصَّيْدِ إِلَى حُجْرَةِ النَّوْمِ . »

اسْتَفْسَرْتُ مُتَسَائِلًا : « وَلَكِنْ لِمَذَا ؟ » وَكُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ  
كُويْكُوغَ لَا يُحِبُّ أَنْ يَتْرَكَ حَرَبَتَهُ بَعِيدًا عَنْ بَصَرِهِ ، بَلْ يُحِبُّ أَنْ  
يَصْطَلِحَ بِهَا مَعَهُ عَلَى الدَّوَامِ .

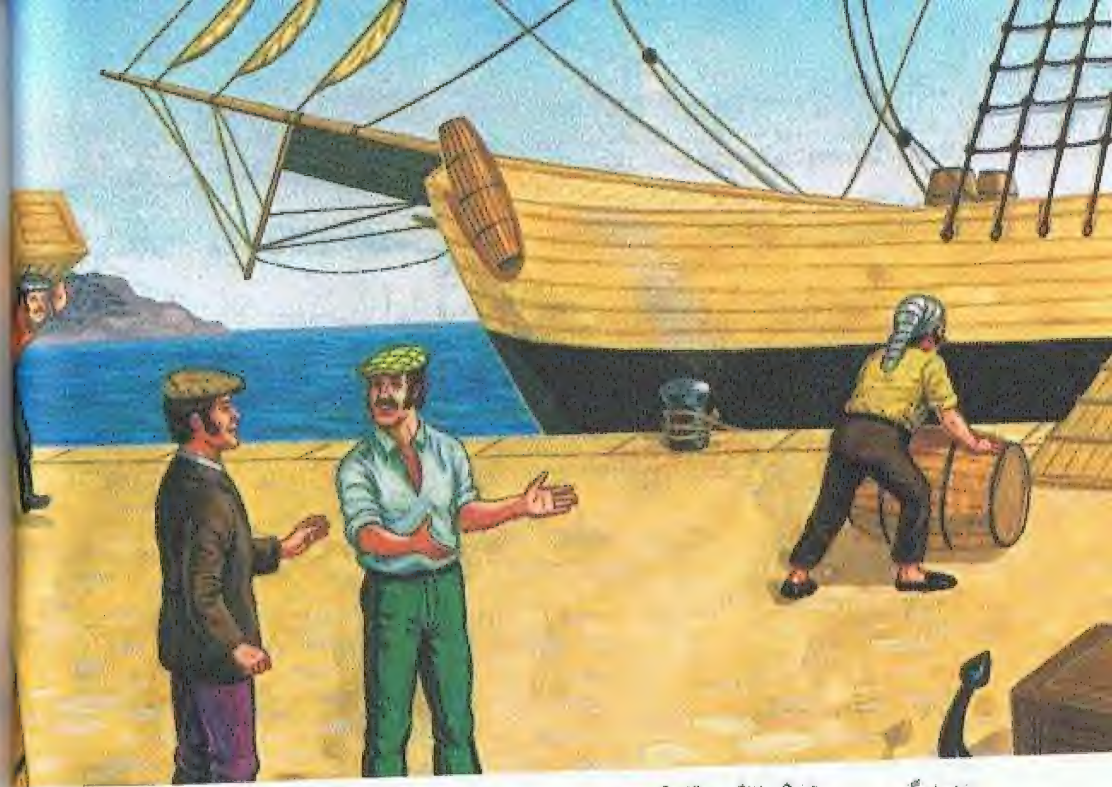
أَجَابَتْ : « لِخَطُورَةِ هَذَا الْأَمْرِ ؛ فَقَدْ حَدَثَ أَنْ وَجَدْنَا أَحَدَ  
الْأَشْخَاصِ مِنْ نُزَلَاءِ الْفُنْدُقِ مَقْتُولًا بِحَرْبَةٍ فِي جَسَدِهِ ، وَمِنْدُ ذَلِكَ  
الْوَقْتِ قَرَّرْنَا أَلَّا يَصْحَبَ أَيُّ فَرْدٍ مِثْلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْخَطِيرَةِ فِي الْعُرْفِ  
لَيْلًا ، وَلِذَلِكَ ، يَا سَيِّدُ كُويْكُوغَ ، فَإِنِّي سَأَحْتَفِظُ لَكَ بِهَا حَتَّى  
الصَّبَاحِ . »

وَبِهَذَا التَّعْلِيلِ الَّذِي أَوْضَحْتَهُ زَوْجَةُ صَاحِبِ الْفُنْدُقِ كَانَ عَلَى  
كُويْكُوغَ أَنْ يَقْتَنَعَ بِذَلِكَ . أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلتَّمَثَالِ الْخَشِيِّ الصَّغِيرِ  
الَّذِي يَحْمِلُهُ كُويْكُوغَ فِي جَيْبِهِ ، فَكَانَ يُطْلِقُ عَلَيْهِ اسْمَ يُوْجُو .  
وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي قَالَ لِي كُويْكُوغَ : « يَقُولُ يُوْجُو إِنَّكَ  
يَجِبُ أَنْ تَذْهَبَ بِمُقَرَّدِكَ لِلْبَحْثِ عَنْ سَفِينَةٍ تُبْحِرُ عَلَيْهَا . »

قُلْتُ : « وَلَكِنَّكَ عَلَى عِلْمٍ بِكُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِسُقْنِ صَيْدِ الْحَيْتَانِ ،  
وَأَنَا لَا أَعْرِفُ شَيْئًا عَنْهَا ، وَعَلَيْكَ أَنْ تَقُومَ بِنَفْسِكَ بِاخْتِيَارِ السَّفِينَةِ  
الْمُنَاسِبَةِ لَنَا . »

أَجَابَ كُويْكُوغَ : « هَذَا مُسْتَحِيلٌ . عَلَيْكَ أَنْتَ الْقِيَامُ بِهَذِهِ  
الْمُهْمَةِ بِمُقَرَّدِكَ . »

وَهَكَذَا تَرَكْتُ كُويْكُوغَ مَعَ يُوْجُو وَعَلْيُونَهُ ، وَذَهَبْتُ مُتَّجِهًا نَحْوَ  
الْبَحْرِ ، حَيْثُ سَأَلْتُ شَخْصًا أَوْ شَخْصَيْنِ مُعَاوَنَتِي فِي هَذَا الصَّدَدِ ،



قائلاً : « هل تعرف أي سفينة توشك على القيام برحلة بحرية للصيد ؟ »

قال أحد الأشخاص : « نعم . يوجد ثلاث سفن مستعدة للإبحار وكلها تقوم بالتجهيزات اللازمة للقيام برحلات بحرية تستغرق ثلاث سنوات . »

نظرت إلى السفن الثلاث ، واستقر بصري على السفينة بيكود ، وهي سفينة قديمة وصغيرة نوعاً ما ، سطحها غير مستو ، وتدار بيد طويلة مصنوعة من إحدى عظام فك الحوت ، ويقوم أحد البحارة بقيادة السفينة وتوجيهها بتحريك هذه اليد .

قابلت أحد ضباط السفينة واتفقت معه على أن أنضم أنا وكويكوغ إلى طاقم البحارة العامل على السفينة ، إبان رحلتها القادمة .

سألت : « أين ربان السفينة ؟ »

« ولماذا تريد أن تقابل الربان آخاب ؟ لقد اتفقنا وبمكثك اعتبار نفسك من الآن أحد أفراد بحارة السفينة . »

« نعم ، ولكنني أود أن أراه . »

« إنه ليس في حال طيبة . ولا أعرف بالضبط ماذا يفعل الآن ، فهو يقيم في منزله . ولا يبدو أنه يعاني من مرض ما ، ولكن أحواله ليست على ما يرام أيضاً . »

وعندما بدا على ضابط السفينة عدم الرغبة في أن ييؤح بأكثر من ذلك ، كان لي أن أقنع بهذا القدر من الإجابة .

وفي صباح اليوم التالي ، اصطفت كويكوغ إلى السفينة ، حيث قابلنا السيد ستارباك كبير الضباط ، الذي يُعاونه ضابطان آخران ، وبالطبع كلهم يعملون تحت قيادة ربان السفينة .

قدمت كويكوغ إلى السيد ستارباك قائلاً : « هذا صديقي الذي سيبحر معنا . »

سأله : « هل أنت صياد حيتان ؟ »

أجاب كويكوغ : « نعم ، ولديّ خبيرة واسعة في هذا المجال . »

حينئذٍ بدا على الضابط اعتباطه بنا . وشعرت بدوري أن الحظ قد حالفنا بالعمل بهذه السفينة .

قيل لنا إن السفينة ستبحر في غضون بضعة أيام ، وستستغرق رحلتها ثلاث سنوات ، وكافة احتياجاتنا خلال هذه المدة الطويلة يقتضي الأمر تخزينها في السفينة قبل الإقلاع . ومن الواجب ألا ننسى شيئاً ؛ فإن سفن صيد الحيتان أكثر السفن تعرضاً للحوادث والمخاطر ، وأكثرها فقداً للمعدات . ولهذا السبب علينا أن نأخذ معنا مزيداً من المتطلبات . وقد تم تزويد السفينة بقوارب وحراش إضافية ، ومزيد من كل شيء تقريباً ، فيما عدا ربان السفينة ، فليس لها إلا ربان واحد .

## الفصل السادس الربان آخاب

ترددنا أنا وكويكوغ على السفينة يكدود عدة مرات خلال فترة إعدادها للإقلاع ، ولكننا رغم ذلك لم نشاهد الربان ، الأمر الذي دعاني للسؤال : « كيف حال الربان آخاب ؟ ومتى سيعود إلى السفينة ؟ » وكانت الإجابة : « إنه في تحسن ، ونحن نتوقع قدومه بين لحظة وأخرى ؟ »

إنني لا أحس من أعماقي بالسعادة الحقيقية ؛ لاقترب موعد بداية رحلة بحرية طويلة ، دون أن أتعرف على الربان الذي سأعمل تحت قيادته ، ولكنني لا أستطيع أن أفعل شيئاً إزاء ذلك .

وفي اليوم السابق على إبحارنا ، استدعانا كبير ضباط السفينة السيد ستاربك . وكم أعجبت به لما يتميز به من هدوء وريانة !

قال لنا : « هذا هو القارب المخصص لي . ولكن أصبح معي

فِيهِ أَيُّ رَجُلٍ لَا يَخَافُ مِنَ الْحَوْتِ ، فَإِنَّ الْحَمَقِيَ مِنَ الرِّجَالِ فَقَطْ  
هُمْ الَّذِينَ يَسْتَهِينُونَ بِخَطَرَةِ الْحِيتَانِ وَلَا يَخْشَوْنَهَا . ثُمَّ نَادَى  
سِتَارَبُكَ كَوَيْكُوعُ قَائِلًا : « لَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّكَ صَيَّادُ حِيتَانٍ مَاهِرٌ .  
وَقَدْ اخْتَرْتُكَ لِتُصَحِّبَنِي فِي قَارِبِي . »

شَعَرْتُ بِالْفَخْرِ لِاخْتِيَارِ صَدِيقِي لِلْعَمَلِ مَعَ كَبِيرِ الضَّبَّاطِ ،  
الْمُسْتُولِ عَنِ الْقَارِبِ الْأَوَّلِ الَّذِي يُغَادِرُ سَفِينَةَ الصَّيْدِ لِمُتَابَعَةِ الْحِيتَانِ  
عِنْدَ اصْطِيَادِهَا .

كَذَلِكَ كَانَ لِكُلِّ مِنَ الضَّابِطَيْنِ الْآخَرَيْنِ ، اللَّذَيْنِ يُدْعَيَانِ سِتَابِ  
وَفَلَّاسُكَ ، قَارِبٌ . وَمِنَ الْمُعْتَادِ أَنْ يَخْتَارَ هَؤُلَاءِ الضَّبَّاطُ جَمِيعًا  
الصَّيَّادِينَ الَّذِينَ يَصْحَبُونَهُمْ فِي قَوَارِبِهِمْ .

وَقَعَ اخْتِيَارُ الضَّابِطَيْنِ عَلَى صَيَّادَيْنِ آخَرَيْنِ هُمَا تَاشْتِغُو أَحَدُ الْهُنُودِ  
الْحُمْرِ ، وَدَاعُو وَهُوَ رَجُلٌ ضَخْمٌ أَسْوَدُ الْبَشَرَةِ .

وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ اسْتَيْقَظْنَا أَنَا وَكَوَيْكُوعُ فِي سَاعَةِ مُبَكَّرَةٍ  
جَدًّا ، وَكَانَ الظَّلَامُ حَالِكًا عِنْدَمَا اقْتَرَبْنَا مِنَ السَّفِينَةِ . وَقَدْ اعْتَرَّتَنِي  
الدَّهْشَةُ حِينَ سَمِعْتُ صَوْتَ وَقَعَ أَقْدَامِ تَجْرِي أَمَامَنَا .

سَأَلْتُ كَوَيْكُوعُ : « هَلْ هَؤُلَاءِ الْبَحَّارَةُ مُتَّجِهُونَ إِلَى سَفِينَتِنَا ؟  
رُبَّمَا تُقْلَعُ السَّفِينَةُ قَبْلَ الْفَجْرِ ، وَنَكُونُ بِذَلِكَ قَدْ تَأَخَّرْنَا عَنْ

مَوْعِدِهَا . »

حِينَئِذٍ أَسْرَعْنَا الْخُطَى حَتَّى وَصَلْنَا إِلَيْهَا فِي الْحَالِ ، وَلَكِنَّا لَمْ نَرَ  
أَحَدًا مِنَ الْبَحَّارَةِ ، بَلْ عَلَى الْعَكْسِ وَجَدْنَاهُمْ يَغْطُونَ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ  
فَاقْبَضْنَاهُمْ ، وَذَكَرَ لِي كَوَيْكُوعُ أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ وَقَعَ الْأَقْدَامِ الَّتِي  
مَرَقَتْ أذُنِي مِنْ قَبْلُ .

قِيلَ لَنَا إِنَّ الرُّبَّانَ وَصَلَ اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَةَ ، وَإِنَّهُ مَوْجُودٌ حَالِيًا عَلَى  
السَّفِينَةِ . وَلَمْ يَمْضِ وَقْتُ طَوِيلٍ حَتَّى أَقْبَلَ بَاقِيَ الْبَحَّارَةِ ، وَأَصْبَحَتِ  
السَّفِينَةُ عَلَى أَهْبَةِ الاسْتِعْدَادِ لِلِابْتِحَارِ .

غَادَرْنَا جَزِيرَةَ نَانْتُوكِتِ فِي صَبَاحِ يَوْمٍ تَلَبَّدَتِ السَّمَاءُ فِيهِ  
بِالْغَيُومِ ، الَّتِي حَجَبَتِ الشَّمْسَ . وَلِأَوَّلِ مَرَّةٍ وَقَعَ بَصْرِي عَلَى رُبَّانِ  
السَّفِينَةِ الَّذِي بَدَأَ لِي فِي صُورَةِ رَجُلٍ حَادِّ الطَّبْعِ قَوِي الشَّكِيمَةِ .  
عَلَى أَحَدِ جَانِبَيْ وَجْهِهِ عَلَامَةٌ بَيَضَاءُ طَوِيلَةٌ ، هِيَ فِي الْغَالِبِ أَثَرُ  
الثَّامِ جَرَحٍ قَدِيمٍ امْتَدَّ حَتَّى رَقَبَتِهِ ، وَرَبَّمَا امْتَدَّ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ تَحْتَ  
مَلَاسِيهِ . كَانَ وَاقِفًا عَلَى سَطْحِ السَّفِينَةِ لَا يَتَفَوَّهُ بِكَلِمَةٍ لِأَحَدٍ .  
وَلَا حَظَّتْ أَنَّهُ فَاقِدٌ إِحْدَى سَاقِيهِ ، وَاسْتَبَدَلَ بِهَا سَاقًا اصْطِنَاعِيَّةً مِنْ  
إِحْدَى عِظَامِ الْحَوْتِ الْمَصْقُولَةِ ، وَاعْتَادَ أَنْ يُثَبَّتَهَا فِي فُتْحَةٍ عَلَى  
سَطْحِ السَّفِينَةِ ، حَيْثُ يَسْتَطِيعُ بِهِذِهِ الطَّرِيقَةَ أَنْ يَقِفَ فِي تَوَازُنٍ ثَابِتٍ

مَتَطَلَعًا إِلَى الْبَحْرِ .

وَقَفَ الرَّبَّانُ آخَابَ عَلَى سَطْحِ السَّفِينَةِ يَبْكُودُ وَأَمَامَهُ جَمِيعُ رِجَالِهِ مِنْ ضَبَّاطٍ وَبَحَّارَةٍ . وَرَفَعَ يَدَهُ مُمَسِّكًا بِقِطْعَةٍ مِنَ النُّقُودِ الذَّهَبِيَّةِ وَنَادَى فِيهِمْ : « أَنْصِتُوا جَيِّدًا . إِنَّ أَوَّلَ رَجُلٍ يَشَاهِدُ الْحَوْتَ الْأَبْيَضَ سَيَفُوزُ بِهِدِهِ الْعُمْلَةُ الذَّهَبِيَّةُ جَائِزَةً لَهُ . »

صَاحَ الرَّجَالُ فِي فَرَحٍ : « مُوبِي دِكْ ، الْحَوْتُ الْأَبْيَضُ ، سَنَلْحِقُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِالْبَحْرِ حَتَّى نَقْضِيَ عَلَيْهِ ! »

« نَعَمْ ، إِنَّهُ الْحَوْتُ الْأَبْيَضُ . ابْحَثُوا عَنْهُ ، يَا رِجَالُ ، وَعِنْدَمَا تَجِدُونَهُ صَيِّحُوا بِأَعْلَى أَصْوَاتِكُمْ . أَخْبِرُونِي ، مَاذَا تَقُولُونَ ؟ »

صَاحَ الرَّجَالُ : « ظَهَرَ الْحَوْتُ اللَّعِينُ ! ظَهَرَ بِأَنْفِهِ فَوْقَ سَطْحِ الْمَاءِ ! ظَهَرَ تَيَّارُ الرُّذَازِ الَّذِي يَنْفُسُهُ مِنْ أَنْفِهِ عَالِيًا فَوْقَ سَطْحِ الْمَاءِ ! »

رَدَّ عَلَيْهِمُ الرَّبَّانُ : « ذَاكَ مَا تَقُولُونَهُ بِالضَّبْطِ ، إِنَّهُ مُوبِي دِكْ ، الَّذِي انْتَزَعَ سَاقِي مِنْ جَسَدِي . إِنَّهُ الْحَوْتُ الْأَبْيَضُ الْمَلْعُونُ الَّذِي قَهَرَنِي وَتَرَكَنِي بِسَاقٍ وَاحِدَةٍ حَتَّى آخِرِ أَيَّامِي . لَا بُدَّ مِنَ الْإِنْتِقَامِ مِنْهُ . »

ثُمَّ صَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ فِي غَضَبٍ وَمَرَارَةٍ : « سَاطَارْدَةُ فِي كُلِّ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ ، قَبْلَ أَنْ أَقْطَعَ الْأَمَلَ فِي الْعُثُورِ عَلَيْهِ . مَاذَا تَرَوْنَ أَيُّهَا

الرَّجَالُ ؟ هَلْ نَتَفَقُّ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْآنَ ؟ أَعْتَقِدُ أَنَّ لَدَيْكُمْ مِنَ الشَّجَاعَةِ الْفَائِقَةِ مَا يُؤْهِلُكُمْ لِهَذَا الْأَمْرِ ! »

هَتَفَ الْبَحَّارَةُ فِي حِمَاسٍ : « حَقًّا ! حَقًّا ! مُرَاقِبَةٌ صَارِمَةٌ ، وَيقْظَةٌ سَاهِرَةٌ ، وَتَطَّلَعٌ لِاصْطِيَادِ هَذَا الْحَوْتَ الْمَفْتَرِسِ دُونَ كُلِّ أَوْ مَلِكٍ . »

قَالَ الرَّبَّانُ فِي أَطْمَئِنَانٍ : « بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ ، يَا رِجَالُ . وَلِنَشْرَبَ جَمِيعًا نَخْبَ هَذَا الْوَعْدِ . »

فِي ظِلِّ اللَّقَاءِ الْعَاصِفِ بَيْنَ الرَّبَّانِ وَالْبَحَّارَةِ ، بَدَتْ عَلَى السَّيِّدِ سِتَارَبِكُ مَلَامَحُ الشُّكِّ وَالرَّيْبَةِ ، الْأَمْرُ الَّذِي لَفَتْ نَظَرَ الرَّبَّانِ ؛ فَسَأَلَهُ مُسْتَفْسِرًا : « مَاذَا دَهَاكَ ، يَا سَيِّدُ سِتَارَبِكُ ؟ لِمَاذَا يَبْدُو وَجْهُكَ عَائِسًا ؟ أَلَا تَتَوَى اصْطِيَادَ الْحَوْتَ الْأَبْيَضِ ؟ »

أَجَابَ سِتَارَبِكُ : « إِنِّي لَعَلَى اسْتِعْدَادٍ تَامٍ لِلْقِيَامِ بِأَيِّ مُهِمَّةٍ . وَلَكِنَّ الْإِنْتِقَامَ مِنْ حَوْتَ لَا يَخْتَلِفُ عَنِ الْجُنُونِ فِي شَيْءٍ . لَا أُوَافِقُ عَلَى ذَلِكَ ، فَهَذَا أَمْرٌ غَيْرٌ طَبِيعِيٌّ عَلَى الْإِطْلَاقِ . »

« هَذَا كَلَامٌ فَارِغٌ ؟ إِنِّي أَمَقْتُ هَذَا الْحَوْتَ ، وَسَأَنْتَقِمُ مِنْهُ نَظِيرَ مَا أَلْحَقَهُ بِي مِنْ عَاهَةٍ مُسْتَدِيمَةٍ . »

هَمَسَ سِتَارَبِكُ فِي قَرْعٍ : « فَلْيَحْفَظْنَا اللَّهُ جَمِيعًا ! »

وَصَاحَ الرَّبُّ أَنْ آخَابَ : « اشْرَبُوا جَمِيعًا نَخْبَ مَا تَوَاعَدْنَا عَلَيْهِ ! »  
وَشَرِبَ الرُّجَالُ وَهُمْ يَتَصَايَحُونَ وَيَلْعَنُونَ عَدُوَّهُمُ الْحَوْتَ الْأَبْيَضَ ، فِيمَا  
عَدَا سِتَارَبِكَ وَحَدَّهُ ، الَّذِي بَدَأَ وَجْهَهُ شَاحِبًا ، فَقَدْ تَرَكَ شَرَابَهُ دُونَ  
أَنْ تَلْمِسَهُ شَفَتَاهُ .

## الفصل السابع

### مُوبِي دِكِ الْحَوْتُ الْأَبْيَضُ

كُنْتُ وَاحِدًا مِنْ أَوْلَيْكَ الْبَحَّارَةِ ، الَّذِينَ هَتَفُوا وَشَرَبُوا . وَلِحَقِّ  
كَانَ هَتَافِي وَصِيَايَ أَعْلَى مِنْ أَصْوَاتِهِمْ ، رُبَّمَا بِسَبَبِ مَا أَحْسَسْتُ  
بِهِ مِنْ خَوْفٍ شَدِيدٍ ، فَلَمْ أَسْمَعْ قَطُّ عَنْ ذَلِكَ الْحَوْتَ الْقَاتِلِ مِنْ  
قَبْلُ ، وَلَكِنِّي وَجَمِيعَ الْبَحَّارَةِ الْآخَرِينَ - بِاسْتِثْنَاءِ سِتَارَبِكَ - قَدْ  
أَقْسَمْنَا عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنْهُ . وَفِيمَا بَعْدُ أَخْبَرَنِي الْبَحَّارَةُ قِصَّةَ مُوبِي  
دِكِ .

لَمْ يَرَهُ كَثِيرٌ مِنَ الرُّجَالِ ، وَالْقَلِيلُ مِنْهُمْ لِأَنَّ هُمْ الَّذِينَ وَاجَهُوهُ  
وَقَاتَلُوهُ . وَأَوْلَيْكَ الَّذِينَ حَاولُوا اصْطِيَادَهُ أَصِيبُوا بِكَسْرِ أَطْرَافِهِمْ أَوْ فَقَدُوا  
إِحْدَاهَا ، وَبَعْضُهُمْ لَقِيَ حَتْفَهُ أَثْنَاءَ هَذِهِ الْمَحَاوَلَةِ ، بَلْ إِنَّ هَذِهِ  
الْقِصَصَ قَدْ مَلَأَتْ كَثِيرًا مِنَ الْبَوَاسِلِ بِالذُّعْرِ وَالْفَزَعِ .

مُوبِي دِكِ حَوْتُ ضَخْمٌ مُفْتَرَسٌّ ، لَهُ رَأْسٌ أَبْيَضٌ غَرِيبُ الشَّكْلِ

وَوَظَّهَرُ أَيْبَضُ مُقَوَّسٌ . وَلَمْ يَكُنْ حَجْمُهُ غَيْرَ الْمَأْلُوفِ أَوْ لَوْنُهُ هُمَا  
مَبْعَثُ الْخَوْفِ وَالْهَلَعِ فَحَسَبُ ، بَلْ كَانَتْ مَهَارَتُهُ الْفَائِزَةُ فِي الْإِحَاقِ  
الضَّرِّ وَالْمَصَائِبِ بِمُقَاتِلَتِهِ ، أَيْضًا هِيَ مَصْدَرُ الْخَطَرِ ؛ إِذْ كَانَ عَلَى  
قَدْرِ مِنَ الْمَهَارَةِ لَا يَقِلُّ عَمَّا يَتَمَيَّزُ بِهِ الصَّيَّادُونَ الَّذِينَ يُلَاحِظُونَهُ أَمَلًا  
فِي اصْطِيَادِهِ ، فَضْلًا عَنْ أَنَّهُ أَقْوَى مِنْهُمْ وَأَشَدُّ عُنْفًا وَضَرَاوَةً . فَفِي  
بَعْضِ الْأَحْيَانِ بَيْنَمَا تُسْرِعُ قَوَارِبُ الصَّيْدِ مُتَعَقِبَةً إِيَّاهُ ، إِذَا بِهِ تَارَةً  
يَسْتَدِيرُ فَجَاءَةً مُتَّجِهًا مُبَاشِرَةً نَحْوَهَا مُصْطَدِمًا بِهَا ، حَيْثُ يُحِيلُهَا إِلَى  
قِطْعٍ مُتَنَازِرَةٍ ، قَازِفًا بِمَنْ فِيهَا مِنَ الصَّيَّادِينَ فِي الْبَحْرِ ، وَتَارَةً أُخْرَى  
يَرُدُّ هَذِهِ الْقَوَارِبَ دَافِعًا إِيَّاهَا إِلَى التَّرَاجُعِ نَحْوَ سَفِينَةِ الصَّيْدِ فِي فَزَعٍ  
وَاضْطِرَابٍ .

قال لي كويكوغ : « لَقَدْ أَخْبَرَنِي الْبَحَّارَةُ أَنَّ الرُّبَّانَ أَخَابَ -  
فِي مُحَاوَلَاتٍ سَابِقَةٍ لِاصْطِيَادِ مُوْبِي دِك - فَقَدْ ثَلَاثَةَ قَوَارِبَ وَسَقَطَ  
جَمِيعُ مَنْ فِيهَا مِنَ الْبَحَّارَةِ فِي الْبَحْرِ ، وَعِنْدَمَا هَجَمَ الرُّبَّانُ عَلَى  
الْحَوْتِ وَأَصَابَهُ بِخَنْجَرِهِ ، قَضَمَ الْحَوْتُ سَاقَهُ بِأَسْنَانِهِ الْقَوِيَّةِ ، وَفَصَلَّهَا  
عَنْ جِسْمِهِ . وَمُنْذُ ذَلِكَ الْحَيْنَ ، جُنَّ جُنُونُ الرُّبَّانِ . وَعِنْدَمَا أَصْبَحَ  
قَادِرًا عَلَى السَّيْرِ مَرَّةً أُخْرَى بِسَاقِ اصْطِنَاعِيَّةٍ مِنْ إِحْدَى عِظَامِ

الْحَوْتِ ، لَمْ يُفَكِّرْ إِلَّا فِي الْإِنْتِقَامِ مِنْ ذَلِكَ الْحَوْتِ الْأَبْيَضِ .  
هَذَا هُوَ الْمَخْلُوقُ الَّذِي أَقْسَمْنَا أَنَا وَالْبَحَّارَةُ الْآخَرُونَ عَلَى  
اصْطِيَادِهِ وَالظُّفْرِ بِهِ .

قَارَبْنَا مِنْهُ بِدَرَجَةٍ كَافِيَةٍ سَأَرَشَقُ حَرْبَتِي فِي أَحَدِ جَوَانِيهِ .»

كَانَ السَّيِّدُ سِتَابَ مَسْئُولاً عَنِ الْقَارِبِ الثَّانِي ، وَقَدْ اخْتَارَ تَاشْتِيْعُو  
لِيَكُونَ الصَّيَّادَ الَّذِي يُرَافِقُهُ . أَمَّا الْقَارِبُ الثَّالِثُ فَكَانَ مُخَصَّصاً  
لِلضَّابِطِ فِلَاسِكَ وَمُرَافِقِهِ الصَّيَّادَ دَاغُو الرَّجُلِ الْأَسْوَدَ .

قُلْتُ : « إِنَّ هَؤُلَاءِ الضَّابَّاتِ الثَّلَاثَةَ لَهُمْ دَوْرٌ هَامٌّ لِلْغَايَةِ .»

رَدَّ كَوِيْكُوغُ : « أَجَلٌ ؛ فَتَجَاحُ الرِّحْلَةُ يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِمْ ، وَكَمِيَّةُ  
الرَّيْتِ الَّذِي نَسْتَخْرِجُهُ مِنَ الْحَيْتَانِ يَعْتَمِدُ عَلَى بَرَاعَتِهِمْ . وَلَكِنَّ  
الرَّجَالَ الَّذِينَ يَقُومُونَ بِعَمَلِيَّةِ التَّجْدِيفِ فِي الْقَوَارِبِ لَا يُمْكِنُ إغْفَالُ  
أَهْمِيَّتِهِمْ الْبَالِغَةِ أَيْضاً .»

قُلْتُ : « لَقَدْ سَمِعْتُ أَصْوَاتًا غَرِيبَةً آتِيَةً مِنْ دَاخِلِ السَّفِينَةِ ، وَيَبْدُو  
كَمَا لَوْ كَانَ هُنَاكَ رَجَالٌ فِي بَاطِنِهَا وَلَكِنَّ عَيُونَنَا لَمْ تَقْعَ عَلَيْهِمْ .»  
وَهُنَا تَذَكَّرْتُ وَقَعَ الْخُطُوبَاتِ الَّتِي سَمِعْتُهُ بِالقُرْبِ مِنَ السَّفِينَةِ فِي  
جَزِيرَةِ نَانْتُو كِتَ قَبْلَ الْإِقْلَاعِ .

قَالَ كَوِيْكُوغُ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيَّ : « وَأَنَا أَيْضاً سَمِعْتُ هَذِهِ الْأَصْوَاتَ  
وَلَا أَفْهَمُ لَهَا مَعْنَى . لَا بُدَّ مِنْ وُجُودِ شَيْءٍ غَامِضٍ هُنَا .»

وَأَشَارَ كَوِيْكُوغُ إِلَى قَارِبٍ إِضَافِيٍّ عَلَى سَطْحِ السَّفِينَةِ وَقَالَ :  
« إِنَّ الْبَحَّارَةَ يَقُولُونَ إِنَّهُ قَارِبُ الرُّبَّانِ . وَلَا أَعْلَمُ سَبِيلاً لَوْجُودِهِ هُنَاكَ ؛

## الفصل الثامن

### الاستعداد للصَّيد

أَبْحَرْتُ سَفِينَتَنَا طَوَالَ عِدَّةِ أَسَابِيحَ لَمْ نَشَاهِدْ خِلَالَهَا آيَةً حَيْثَانِ .  
فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ كَانَ الطَّقْسُ بَارِداً ، ثُمَّ أَصْبَحَ أَكْثَرَ دِفْئاً فِيمَا بَعْدُ .  
وَأَضْفَتِ الْأَيَّامُ الَّتِي سَطَعَتْ فِيهَا الشَّمْسُ ، عَلَى الرِّحْلَةِ بِهَجَّةٍ  
وَسُرُورٍ . وَعَكَّفْنَا جَمِيعاً عَلَى إِعْدَادِ قَوَارِبِ الصَّيْدِ وَتَجْهِيْزِهَا  
اسْتِعْدَاداً لِلْعَمَلِ .

حَدَّثَنِي أَحَدُ الْبَحَّارَةِ قَائِلاً : « إِنَّ السَّيِّدَ سِتَابَ الضَّابِّاتِ الثَّانِي  
رَجُلٌ شَجَاعٌ بَاسِلٌ ، يُدَخِّنُ طَوَالَ الْوَقْتِ . وَلَا أَذْكَرُ أَنَّي رَأَيْتُهُ دُونَ  
غَلْيُونِهِ فِي قَمِيهِ وَلَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً ، بَلْ أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَذْهَبُ لِلنُّوْمِ وَهُوَ عَلَى  
هَذِهِ الْحَالَةِ !» وَضَحِكُ كَوِيْكُوغُ عِنْدَمَا سَمِعَ هَذَا الْحَدِيثَ .

قَالَ : « سَأَصَاحِبُ السَّيِّدَ سِتَارَبَكُ فِي الْقَارِبِ الْأَوَّلِ ، الَّذِي  
يُغَادِرُ السَّفِينَةَ عِنْدَ اكْتِشَافِ وُجُودِ أَحَدِ الْحَيْتَانِ ، وَعِنْدَمَا يَقْتَرِبُ

فَلَيْسَ مِنَ الْمَأْلُوفِ أَنْ يَخْصَّصَ لِلرُّبَّانِ قَارِبٌ لِلصَّيْدِ ، فَإِنَّ رَبَابِنَةَ  
السُّفُنِ عَادَةً لَا يُغَادِرُونَ سُفُنَهُمْ لِصَيْدِ الْحَيْتَانِ .»

## الفصل التاسع

### ظهور الحوت الأيضي

يُوجَدُ عَلَى الدَّوَامِ عِنْدَ قِمَّةِ صَارِي السُّفِينَةِ مُرَاقِبٌ يَقُومُ بِمُهِمَّةِ  
الاسْتِطْلَاعِ وَمُرَاقَبَةِ ظُهُورِ الْحَيْتَانِ . وَيَتَنَاقَبُ الْبَحَّارَةُ هَذَا الْعَمَلُ ،  
كُلُّ فِي دَوْرِهِ مُدَّةَ سَاعَتَيْنِ .

وَفِي ظِلِّ الْجَوِّ الدَّافِي كَانَتْ نَوْبَةُ الْمُرَاقَبَةِ عِنْدَ قِمَّةِ الصَّارِي عَمَلًا  
يَبْتَغِي عَلَى الْإِبْتِهَاجِ وَالِاسْتِمْتَاعِ ، حَيْثُ يَقِفُ الْمُرَاقِبُ عَلَى ارْتِفَاعِ  
ثَلَاثِينَ مِثْرًا فَوْقَ سَطْحِ السُّفِينَةِ ، يُشْرِفُ عَلَى مِسَاحَةِ شَاسِعَةٍ مِنْ  
الْبَحْرِ .

كَذَلِكَ تَمْتَازُ هَذِهِ الْمُهْمَّةُ أَيْضًا بِعَدَمِ وُجُودِ آيَةٍ مَتَاعِبَ ، حَيْثُ لَا  
يَسْمَعُ الْمُرَاقِبُ آيَةَ أَخْبَارٍ ، وَلَيْسَ هُنَاكَ فُرْصَةٌ لِجِدَالٍ أَوْ عِرَاكِ مَعَ  
أَحَدٍ ، وَلَا حَاجَةٌ بِهِ لِلتَّفَكِيرِ فِي النُّقُودِ أَوْ فِي وَجَبَاتِ الطَّعَامِ ، وَلَا  
بُدَّ لَهُ مِنَ التَّرَكُّيزِ عَلَى مُرَاقَبَةِ الْحَيْتَانِ فَحَسْبُ . وَتَنْحَصِرُ الْأَوَامِرُ

المكلف بتنفيذها في الحرص على القيام بمراقبة صارمة دائمة ،  
وإطلاق صيحة عالية في حالة ظهور أحد الحيتان .

ماذا كان يفعل الربان آخاب ؟ كان يجلس كل يوم بمفرده  
عاكفاً على دراسة خرائطه ، باحثاً عن أفضل الأماكن لاصطياد  
الحوت الأبيض ، الذي يتحرق شوقاً للظفر به والانتقام منه . كان  
على دراية تامة بحركات المد والجزر في البحار ، وبإستطاعته أن  
يتنبأ بتحركات الأسماك التي تتغذى عليها الحيتان ، كما كان  
يعلم أن الحيتان تهاجر كالطيور بطريقة منتظمة في رحلات عبر  
البحار .

وبعد ظهر يوم حار كانت السماء فيه ملبدة بالسحب ، طرق  
سمعي صوت غريب ، وحانت مني التفاتة نحو أعلى السفينة ؛  
فرايت تاشيغو عند قمة الصاري يقوم بالمراقبة ، مائلاً بجسمه في  
لهفة إلى الأمام ، مشيراً بيده الممتدة إلى أبعد مدى ، مردداً  
صيحته بصوت عالٍ عجيب : « هناك تظهر الحيتان فوق سطح الماء !  
هناك ! هناك ! »

« أين ؟ »

« هناك نحو الجنوب ، على مسافة ثلاثة كيلومترات تقريباً ،

حيث يظهر أكثر من واحد منها . »

وفي لمح البصر اندفع كل واحد منا لإعداد قوارب الصيد  
الثلاثة ، التي أخذت تتأرجح معلقة فوق سطح البحر ، وبحارتها  
يلقون أنفسهم بداخلها .

وفجأة انطلقت صيحة تعجب في السفينة ، واستدار كل فرد  
ناظراً إلى الربان آخاب وخمسة رجال كالأشباح السوداء تحيط  
به ، لا يدري أحد منا من أي مكان خفي ظهروا ! وهنا تذكرت وقع  
الأقدام الغريبة والضجة التي سمعتها من قبل .

قادهم آخاب فوراً إلى قاربه ، وبدا واحد منهم كما لو كان  
قائدهم ، يعلو رأسه شعر أبيض . وظننت - بسبب لون بشرته - أنه  
من مواطني إحدى جزر المحيط الهادي . وبينما نحن ناظرون إليهم  
صاح الربان : « هل أنتم مستعدون ، يا فيض الله ؟ »

أجاب الرجل ذو الشعر الأبيض : « على أتم استعداد . »

أصدر الربان أوامره : « أنزلوا القوارب ! هل تسمعون ؟ انطلقوا  
بها إلى البحر ! » وأبحرت القوارب الثلاثة بعيداً عن السفينة  
وركب آخاب القارب الرابع مع الرجال الخمسة الغرباء ، الذين  
أخذوا يجذفون منطلقين في البحر .

أثارَ ظُهُورَ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ الغُرَبَاءِ الشُّعُورَ بِالخَوْفِ بَيْنَ بَحَّارَةِ  
السَّفِينَةِ . وَلَمْ يُصَدِّقْنِي أَحَدٌ عِنْدَمَا تَحَدَّثْتُ عَنِ الْأَصْوَاتِ الَّتِي  
سَمِعْتُهَا وَكَأَنَّمَا آتِيَةٌ مِنْ دَاخِلِ السَّفِينَةِ . وَلَكِنْ الْآنَ ، تَذَكَّرُ كُلُّ فَرْدٍ  
مَا قُلْتُهُ عَنْهَا .

انْدَفَعَتِ القَوَارِبُ الأَرْبَعَةُ تَمَخُّرُ عُبَابِ المَاءِ ، فِي مَشْهَدٍ رَائِعٍ ،  
تَحْمِلُ فِيهِ الأمُوجُ المَتَدَفِّقَةُ القَوَارِبَ عَالِيًا ثُمَّ تَدْعُهَا تَنْزِلُ إِلَى  
الأَوْدِيَةِ المَائِيَةِ . وَاخْتَلَطَتْ صَيِّحَاتُ الرِّجَالِ ، الَّذِينَ يُوجِّهُونَ القَوَارِبَ  
مَعَ صِيَاحِ الصَّيَّادِينَ وَالمَجْدُفِينَ . وَاتَّجَهَتِ السَّفِينَةُ بِكُودٍ خَلْفَ  
قَوَارِبِهَا تَنْشُرُ أَشْرَعَتَهَا فِي مَهَبِ الرِّيحِ ، أَشْبَهَ بِطَائِرٍ كَبِيرٍ يَسِيرُ وَرَاءَ  
صِغَارِهِ لِيَحْمِيَهَا مِنْ أَيِّ خَطَرٍ طَارِئٍ . كُلُّ ذَلِكَ فِي مَنْظَرٍ طَبِيعِيٍّ  
مُشِيرٍ لِلْمَشَاعِيرِ .

كُنْتُ وَاحِدًا مِنَ البَحَّارَةِ الَّذِينَ يَقُومُونَ بِالتَّجْدِيفِ فِي قَارِبِ  
سِتَارَبِكَ ، الَّذِي صَاحَ فِينَا مُشْجَعًا : « جَدُّوْا بِعِزِّكُمْ شَدِيدًا ،  
يَا رِجَالُ ؛ فَهُنَاكَ عَاصِفَةٌ آتِيَةٌ ، وَلَدَيْنَا فُسْحَةٌ مِنَ الوَقْتِ لِاصْطِيَادِ  
أَحَدِ الحَيْتَانِ قَبْلَ هُبُوبِهَا . اضْرِبُوا بِالمَجَادِيفِ فِي المَاءِ بِقُوَّةٍ  
وَسُرْعَةٍ . »

هَبَّ كُوبِكُوْغُ وَاقِفًا عَلَى قَدَمَيْهِ ، قَابِضًا عَلَى حَرْبَتِهِ ، مُسْتَعِدًّا  
لِلْعَمَلِ فِي تَرْقُبٍ وَحَدَرٍ ، مُدْرِكًا اقْتِرَابَ اللَّحْظَةِ الحَاسِمَةِ .

صَاحَ سِتَارَبِكَ : « هُنَاكَ ! اقْدِفْ حَرْبَتَكَ ! »

وَأَنْدَفَعَتِ الحَرْبَةُ مِنْ يَدِ كُوبِكُوْغٍ مُحْدِثَةً صَوْتًا صَاخِبًا مِنْ  
اخْتِرَاقِهَا لِلْهَوَاءِ .

حَدَّثَ عَقِبَ ذَلِكَ اضْطِرَابٌ قَاطِعٌ ، وَاصْطَدَمَ القَارِبُ بِشَيْءٍ  
صَخْمٍ أَلْقَى بِجَمِيعٍ مِنْ فِيهِ مِنَ الرِّجَالِ فِي البَحْرِ ، وَأَقْلَتِ الحَوْتُ  
هَارِبًا . وَامْتَلَأَ القَارِبُ بِالمِيَاهِ وَلَكِنَّهُ كَانَ سَلِيمًا لَمْ يُصِبْهُ تَلَفٌ .  
وَاسْتَطَعْنَا إِنْقَازَ المَجَادِيفِ الَّتِي كَانَتْ تَطْفُو فَوْقَ سَطْحِ البَحْرِ ، وَتَعَلَّقْنَا  
جَمِيعًا بِالقَارِبِ عَائِدِينَ إِلَيْهِ .

خَيَّمَ الظَّلَامُ عَلَيْنَا فِي ذَلِكَ الحِينِ ، وَارْتَعَشَتْ أَجْسَادُنَا مِنْ شِدَّةِ  
الْبَرْدِ ، وَغَمَرَتِ المِيَاهُ المَوْجُودَةُ دَاخِلَ القَارِبِ أَقْدَامَنَا وَسِيقَانَنَا وَأَرْجُلَنَا  
عَنْ آخِرِهَا . وَتَمَلَّكَتْنَا الحَيْرَةُ فَلَمْ نَعُدْ نَدْرِي أَيَّ جِهَةٍ نَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا  
وَسَطَ هَذَا الظَّلَامِ الدَّامِسِ .

وَبَعْدَ وَقْتٍ يَسِيرٍ ، فُوجِئْنَا بِالسَّفِينَةِ بِكُودٍ تَخْرُجُ عَلَيْنَا مِنْ هَذَا  
الظَّلَامِ ، مُنْدَفِعَةً رَأْسًا نَحْنُوْنَا انْدِفَاعًا شَدِيدًا ، أَدْرَكْنَا مِنْهُ - فِي هَلَعٍ  
وَرُعْبٍ - أَنَّ مَنْ فَوْقَهَا مِنَ البَحَّارَةِ لَا يَرَوْنَ قَارِبَنَا عَلَى الإِطْلَاقِ .  
وَفِي هَذَا الوَقْتِ العَصِيبِ ، لَمْ يَكُنْ لَدَيْنَا اخْتِيَارٌ إِلَّا أَنْ نُلْقِيَ بِنَفْسِنَا  
جَمِيعًا فِي البَحْرِ ؛ أَمَلًا فِي إِنْقَازِ أَرْوَاحِنَا . وَعِنْدَمَا مَرَّتِ السَّفِينَةُ

أَمَامَنَا شَاهِدُنَا قَارِبَنَا الْخَالِي هَنِيئَةً ، ثُمَّ جَرَفَتْهُ السَّفِينَةُ وَلَمْ نَرَهُ قَطُّ  
بَعْدَ ذَلِكَ .

ظَلَلْنَا نَسْبَحُ عَلَى مَقَرَّةٍ مِنَ السَّفِينَةِ مُنَادِينَ عَلَى مَنْ فِيهَا مِنَ  
الْبَحَّارَةِ ، حَتَّى وَصَلْتُ إِلَيْهِمْ أَصْوَاتُ اسْتِغَاثَتِنَا . وَأَخِيرًا تَمَّ إِنْقَاذُنَا ،  
وَعُدْنَا جَمِيعًا سَالِمِينَ إِلَيْهَا مَرَّةً أُخْرَى . وَاتَّضَحَ أَنَّ السَّفِينَةَ كَانَتْ  
تَبْحَثُ عَنَّا ، وَكَادَتْ تَفْقِدُ الْأَمَلَ تَقْرِيًا فِي الْعُثُورِ عَلَيْنَا فِي هَذَا  
اللَّيْلِ الْبَهِيمِ .

## الفصل العاشر ستاب يَصْطَادُ حَوْتَا

مَكُنَّا فِي الْبَحْرِ أَسَابِيعَ عَدِيدَةً حَتَّى اقْتَرَبْنَا مِنْ رَأْسِ الرَّجَاءِ  
الصَّالِحِ فِي أَقْصَى جَنُوبِ أَفْرِيقِيَا . وَالْمَعْرُوفُ عَنْ هَذِهِ الْمُنْطِقَةِ مِنَ  
الْمُحِيطِ أَنَّهَا مَكَانٌ مُلَائِمٌ لَصَيْدِ الْحَيْتَانِ . وَلِذَلِكَ كَثَفْنَا عَمَلِيَّاتِ  
الاسْتِطْلَاعِ وَالْمُرَاقَبَةِ .

وَذَاتَ يَوْمٍ صَاحَ الْبَحَّارُ الْقَابِعُ عِنْدَ قِمَّةِ الصَّارِي . وَلَكِنْ صِيحَّتْ  
هَذِهِ الْمَرَّةَ لَمْ تَكُنْ صِيحَّةَ تَنَمُّ عَنْ اكْتِشَافِ الْحَيْتَانِ ، بَلْ كَانَتْ نِدَاءً  
بَحْرِيًّا يُسْتَخْدَمُ عِنْدَ تَلَاقِي السُّفُنِ فِي الْبَحْرِ لِلتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ .

وَعَلَى آثَرِ ذَلِكَ عَلِمْنَا أَنَّهُ رَأَى أَسْرَعَةَ سَفِينَةٍ أُخْرَى ؛ فَأَخَذْنَا  
نَتَطَلَّعُ إِلَيْهَا . وَبَيْنَمَا هِيَ تَقْتَرِبُ مِنَّا رُؤَيْدًا رُؤَيْدًا اكْتَشَفْنَا أَنَّهَا أَيْضًا  
سَفِينَةٌ لَصَيْدِ الْحَيْتَانِ . ثُمَّ شَاهَدْنَا اسْمَهَا ( طَائِرُ الْبَحْرِ ) . وَكَانَ  
مَنْظَرُهَا غَرِيبًا لِلْغَايَةِ .

قال كويكوغ : « هذه السفينة مَضَى عَلَيْهَا فِي الْبَحْرِ مُدَّةٌ طَوِيلَةٌ لِلْغَايَةِ . »

سَأَلَتْهُ : « كَيْفَ عَرَفْتَ ذَلِكَ ؟ »

أَجَابَ : « انْظُرْ إِلَى أَمْلاحِ الْبَحْرِ الْبَيَاضِ الْمُتْرَاكِمَةِ عَلَى جَوَانِبِهَا ، فَضْلاً عَنْ أَنَّهَا فَقَدَتْ مُعْظَمَ طِلَائِهَا . »

قُلْتُ : « وَصَارِيهَا وَجِبَالُهَا كَذَلِكَ كَأَنَّهَا أَشْجَارٌ تَكْسُوها الشُّلُوحُ . »

وَعِنْدَئِذٍ وَقَفَ الرُّبَّانُ آخَابَ عَلَى سَطْحِ السَّفِينَةِ مُرَدِّدًا النَّدَاءَ الْبَحْرِيَّ الْمُتَعَارِفَ عَلَيْهِ لِلتَّحِيَّةِ ، وَمُتَسَائِلًا : « هَلْ صَادَقْتُمُ الْحَوْتَ الْأَبْيَضَ الَّذِي يُسَمُّونَهُ مُوبِي دِك ؟ »

حِينَئِذٍ مَرَّتِ السَّفِينَتَانِ تَجَاهَ بَعْضِهِمَا ، وَأَجَابَ صَوْتُ مِنَ السَّفِينَةِ الْأُخْرَى - طَائِرِ الْبَحْرِ - صَائِحًا وَلَكِنْ كَلِمَاتِهِ وَصَلَتْ إِلَيْنَا خَافِتَةً ضَعِيفَةً لِدَرَجَةِ أَنَّاهُ لَمْ نَتَبَيَّنْ لَهَا مَعْنَى .

صَاحَ آخَابُ فِينَا : « إِنَّهُمْ فِي طَرِيقِ الْعُودَةِ إِلَى وَطَنِهِمْ : عَلَى النَّقِيبِضِ مِنَّا تَمَامًا . » وَاتَّبَعَ ذَلِكَ بِصِيْحَةٍ مِنْهُ إِلَى الْبَحَّارِ الْوَاقِفِ عَلَى عَجَلَةِ الْقِيَادَةِ بِسَفِينَتِنَا ، قَائِلًا : « اسْتَمِرَّ فِي الْإِبْحَارِ ! اسْتَمِرَّ فِي الْإِبْحَارِ حَتَّى وَلَوْ حَوْلَ الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ ! »

طَلَعَ عَلَيْنَا الْيَوْمَ التَّالِي ، وَكَانَ يَوْمًا هَادئًا شَدِيدَ الْحَرَارَةِ ، جَعَلَ مِنَ الْعَسِيرِ عَلَى الْبَحَّارَةِ مُقَاوِمَةً لِالنُّعَاسِ . وَفِي هَذَا الْيَوْمِ حَلَّ دَوْرِي لِلْقِيَامِ بِنُوبَتِيَّةِ الاسْتِطْلَاعِ فِي أَعْلَى الصَّارِي ، فَاضْطَرَرْتُ إِلَى أَنْ أَغْمِضَ عَيْنِي تَفَادِيًا لِمُوَاجَهَةِ أَشْعَةِ الشَّمْسِ وَبَرِيقِهَا ، وَظَلِلْتُ مُعَلِّقًا أَتَّارِجِحُ فِي هَوَادَةٍ ، كُلَّمَا اهْتَزَّ صَارِي السَّفِينَةِ مَعَ الرِّيحِ . وَفَجْأَةً فَتَحْتُ عَيْنِي لِأَرَى - عَلَى مَقَرَبَةٍ مِنَ السَّفِينَةِ تَمَامًا - حَوْتَاً ضَخَمًا ، فَوْقَ رَأْسِهِ كُتْلَةٌ بَيَاضَاءُ مِنَ الدُّهُونِ ، وَبَيَّرَزَ مِنْ فَكِّهِ السُّفْلِيِّ أَسْنَانٌ وَأَنْيَابٌ مُفْتَرَسَّةٌ . وَكَانَ يَسْبَحُ مُتَقَلِّبًا فِي الْمَاءِ ؛ قَبْدًا ظَهَرَهُ الْعَرِيضُ مُضِيئًا لَامِعًا فِي أَشْعَةِ الشَّمْسِ كُلُّوْحِ مُسَطَّحٍ مِنَ الزُّجَاجِ .

أَطْلَقْتُ صَيِّحَاتٍ عَالِيَةً بِأَقْصَى مَا اسْتَطَعْتُ مِنْ صَوْتٍ ، فَخُورًا بِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ رَجُلٍ شَاهَدَ الْحَوْتَ : « هُنَاكَ ! ظَهَرَ الْحَوْتُ الْأَبْيَضُ ! ظَهَرَ بِأَنْفِهِ فَوْقَ سَطْحِ الْمَاءِ ! »

وَسَرَّعَانَ مَا هَبَّ النَّائِمُونَ مِنْ سُبَاتِهِمْ ، وَدَبَّ النَّشَاطُ فِي السَّفِينَةِ بِأَسْرِهِا ، وَدَوَّى فِي أُنْحَائِهَا عِشْرُونَ صَوْتًا يُرَدِّدُونَ صِيَاحِي . وَصَاحَ الرُّبَّانُ آخَابُ : « انْطَلِقُوا بِقَوَارِبِ الصَّيْدِ فِي الْبَحْرِ . »

وَلَكِنْ الصِّيَاحُ الْمَفْاجِئُ لِلْبَحَّارَةِ كُلِّهِمْ ، فِي صَوْتٍ وَاحِدٍ ، كَانَ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يُخَيِّفَ هَذَا الْحَوْتَ . وَقَبْلَ أَنْ يَتِمَّ إِنْزَالُ الْقَوَارِبِ إِلَى

الْبَحْرَ اسْتَدَارَ مُبْتَعِدًا عَنِ السَّفِينَةِ ، ثُمَّ رَفَعَ ذَيْلَهُ - الَّذِي يُقَدَّرُ طَوْلُهُ بِعَشْرَةِ أَمْثَارٍ - عَالِيًا فِي الْهَوَاءِ ، وَغَطَسَ فِي الْبَحْرِ مُخْتَفِيًا عَنِ الْأَنْظَارِ ، كَمَا لَوْ كَانَ سَفِينَةً ضَخْمَةً انْشَقَّ لَهَا الْبَحْرُ وَابْتَلَعَتْهَا الْمِيَاهُ .

انْتَهَرْنَا فِي لَهْفَةٍ وَقَلَقٍ ، حَتَّى ظَهَرَ الْحَوْتُ أَخِيرًا مَرَّةً أُخْرَى بِالْقُرْبِ مِنْ قَارِبِ سَتَابٍ ، سَابِحًا بِسُرْعَةٍ فَائِقَةٍ ، رَافِعًا رَأْسَهُ فَوْقَ سَطْحِ الْمَاءِ ؛ فَأَخَذَ بِحَارَةِ الْقَارِبِ يُجَدِّفُونَ فِي جُنُونٍ مُتَعَقِّبِينَ إِيَّاهُ ، وَعِنْدَمَا اقْتَرَبُوا مِنْهُ صَاحَ سَتَابٌ : « تَاشْتِغُو ! اسْتَعِدُّ وَاضْرِبْ بِحَرَبِكَ ! »

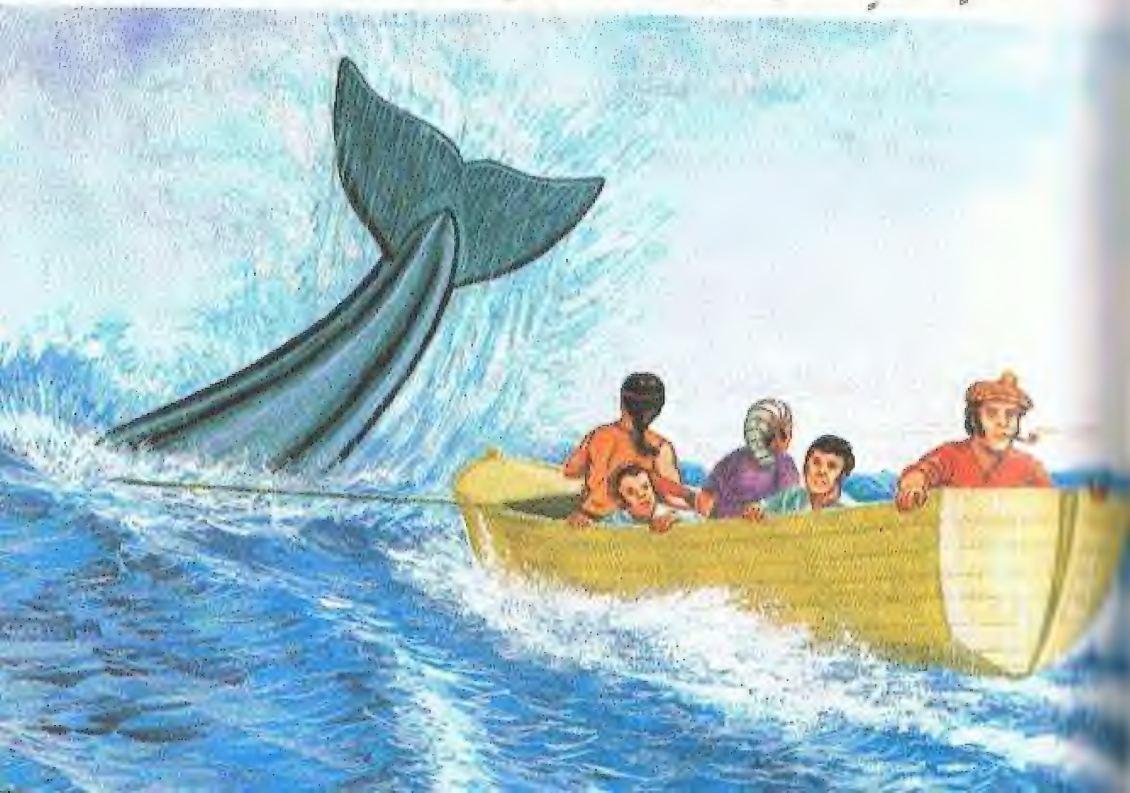
وَانْطَلَقَتِ الْحَرْبَةُ - فِي قُوَّةٍ وَشِدَّةٍ - حَيْثُ أَصَابَتْ الْحَوْتَ وَاسْتَقَرَّتْ فِي مُنْتَصَفِ ظَهْرِهِ ، حَتَّى أَصْبَحَ الْحَبْلُ الْوَاصِلُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْقَارِبِ مَشْدُودًا عَنْ آخِرِهِ . وَاسْتَشَاطَ الْحَوْتُ الْمُصَابُ غَضَبًا ، وَأَخَذَ يَسْبَحُ فِي سُرْعَةٍ مُتَزَايِدَةٍ ، سَاحِبًا الْقَارِبَ خَلْفَهُ فِي انْدِفَاعٍ شَدِيدٍ ، جَعَلَ مَنْ فِيهِ مِنَ الْبَحَّارَةِ يَتَشَبَّثُونَ بِكُلِّ مَا لَدَيْهِمْ مِنْ قُوَّةٍ وَعَزْمٍ بِجَوَانِبِ الْقَارِبِ ، الَّذِي مَضَى طَائِرًا فَوْقَ سَطْحِ الْمَاءِ ، حَتَّى أَخَذَ الْحَوْتُ أَخِيرًا يَهْدِي مَنْ سُرْعَتِهِ قَلِيلًا قَلِيلًا .

صَاحَ سَتَابٌ : « شُدُّوا الْحَبْلَ بِقُوَّةٍ ! فَاشْتَرِكِ الرُّجَالُ جَمِيعًا فِي جَذْبِ حَبْلِ الْحَرْبَةِ ، حَتَّى تَلَامَسَ الْقَارِبُ وَجَسَدَ الْحَوْتَ . وَاسْتَنْدَ

سَتَابٌ عَلَى حَافَةِ الْقَارِبِ ، وَعَلَى أَبْعَدِ مَدَى مُمَكِنٍ أَعْمَدَ خَنْجَرَهُ الطَّوِيلَ فِي أَحَدِ جَوَانِبِ الْحَوْتَ ، الَّذِي أَخَذَ يَتَقَلَّبُ بِشِرَاسَةٍ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَى أُخْرَى ، ضَارِبًا الْمَاءَ بِذَيْلِهِ وَالْهَوَاءَ بِرَأْسِهِ ؛ وَاسْتَمَرَ يَكَافِحُ مُدَّةً طَوِيلَةً وَالدَّمَاءُ تَنْزِفٌ مِنْهُ بِغَزَارَةٍ وَتَخْتَلِطُ بِمِيَاهِ الْبَحْرِ ، حَتَّى خَارَتْ قُوَاهُ ، وَرَقَدَ هَذَا الْمَخْلُوقُ الضَّخْمُ أَخِيرًا سَاكِنًا لَا حَرَكَ بِه .

قَالَ تَاشْتِغُو لِلْسَيِّدِ سَتَابٍ بَعْدَ أَنْ انْتَهَتْ الْمَعْرَكَةُ : « مَاتَ الْحَوْتُ . »

رَدَّ سَتَابٌ : « نَعَمْ . » وَنَزَعَ غَلْيُونَهُ مِنْ قَمِيهِ وَوَقَفَ مُتَأَمِّلًا - فِي تَفْكِيرٍ عَمِيقٍ - نَاطِرًا إِلَى الْحَوْتَ الْهَائِلِ الَّذِي نَجَحَ فِي اصْطِيَادِهِ .



كَانَ مَوْقِعُ قَارِبِ سِتَابٍ - فِي هَذَا الْوَقْتِ - عَلَى مَبْعَدَةٍ مِنَ  
السَّفِينَةِ ، فَاشْتَرَكَتْ قَوَارِبُ الصَّيْدِ الثَّلَاثَةُ فِي سَحَبِ جَنَّةِ الْحَوْتِ  
الضَّخْمِ ، وَبَدَلَتْ بِحَارَتِهَا جُهْدًا مُضْنِيًا فِي دَفْعِ الْقَوَارِبِ بِالتَّجْدِيفِ ،  
لِعَدَمِ هُبُوبِ رِيَّاحِ مُوَاتِيَةٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَتِمَكَّنُوا إِلَّا بِطُءٍ شَدِيدٍ مِنَ  
الْوُصُولِ إِلَى السَّفِينَةِ بِبُكُودٍ .

وَفِي الْحَالِ أَسْقَطَ الْبَحَّارَةُ السَّلَاسِلَ فَوْقَ جَانِبِ السَّفِينَةِ حَيْثُ  
قَامَ بَعْضُهُمْ بِاسْتِخْدَامِهَا فِي رِبْطِ الْحَوْتِ ، وَالْإِحْفَاطِ بِهِ مُلَاصِقًا  
لَهَا .

وَكَانَ لَا بُدَّ مِنْ قِيَامِ حَارِسَيْنِ طَوَالَ اللَّيْلِ بِمُطَارَدَةِ أَسْمَاكِ  
الْقِرْشِ ، الَّتِي تَجْمَعُ حَوْلَ الْحَوْتِ الْمَيِّتِ . وَاخْتِيرَ كَوَيْكُوعٌ وَأَحَدُ  
الْبَحَّارَةِ الْآخَرِينَ لِهَذِهِ الْمُهْمَةِ ، فَأَخَذَا يَدْفَعَانِ هَذِهِ الْأَسْمَاكِ  
الْمُهَاجِمَةَ بِحِرَابٍ قَاتِلَةٍ . وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأُجْهِزَتْ عَلَى جَنَّةِ الْحَوْتِ مَعَ  
الصَّبَاحِ .

وَبِمَجْرَدِ بُزُوعِ فَجْرِ الْيَوْمِ التَّالِيِ ، شَرَعْنَا جَمِيعًا فِي اسْتِخْرَاجِ  
الزَّيْتِ مِنَ الْحَوْتِ . أَوَّلًا أَحْضَرَ الْبَحَّارَةُ فَوْقَ سَطْحِ السَّفِينَةِ آلَةً يَتَدَلَّى  
مِنْهَا حَبْلٌ فِي نِهَائِيَةِ خُطَافٍ كَبِيرٍ . ثُمَّ وَقَفَ سِتَارَبُكُ وَسِتَابٌ عَلَى  
لَوْحٍ خَشَبِيٍّ طَوِيلٍ فَوْقَ الْحَوْتِ وَأَحْدَثُوا فَتْحَةً فِي جَسَدِهِ لِتَرْكِيبِ  
الْخُطَافِ فِيهَا . وَبَدَأَ الْبَحَّارَةُ فِي تَشْغِيلِ الْآلَةِ وَهُمْ يَتَرَنَّمُونَ بِالْأَغَانِيِ

السَّعْيِيَّةِ ؛ لِحَفْزِ هِمَمِهِمْ أَثْنَاءَ الْعَمَلِ . وَأَخَذَ الْحَبْلُ يَلْتَفُّ حَوْلَ الْآلَةِ  
وَيَقْصُرُ رَوِيْدًا وَرَوِيْدًا وَيَزْدَادُ إِحْكَامًا ، حَتَّى أَصْبَحَ مَشْدُودًا عَنْ آخِرِهِ ،  
وَعِنْدَئِذٍ بَدَأَ الْخُطَافُ يَجْذِبُ كُتْلَةً مِنْ دُهُونِ الْحَوْتِ خَارِجَ جَسَدِهِ ،  
حَتَّى خَرَجَتْ كُلُّهَا فِي شَرِيحَةٍ طَوِيلَةٍ وَاحِدَةٍ أَشْبَهَ بِشَرِيحَةٍ مَنْزُوعَةٍ  
مِنْ قِشْرَةٍ بُرْتَقَالَةٍ . وَأَخَذَ كُلُّ مَنْ سِتَارَبُكُ وَسِتَابٌ يَقْطَعُ شَرَائِحَ  
الدُّهُونِ كُلَّمَا تَقَلَّبَ جَسَدُ الْحَوْتِ فِي الْمَاءِ . وَاسْتَمَرَ الْعَمَلُ عَلَى  
هَذِهِ الْوَتِيرَةِ حَتَّى تَمَّ انْتِزَاعُ كَافَّةِ الشَّرَائِحِ ، الَّتِي أُنْزِلَتْ بَعْدَ ذَلِكَ  
إِلَى حُجْرَةِ الدُّهُونِ ، الَّتِي تَقَعُ بِدَاخِلِ السَّفِينَةِ ، حَيْثُ تَمَّ غَلِّيُّهَا  
وَتَجْمِيعُ زَيْتِ الْحَوْتِ الثَّمِينِ ، الْمَعْرُوفِ بِقِيَمَتِهِ الْعَالِيَةِ .

الصَّافِيَةِ ، وَعَلَى سَطْحِ الْبَحْرِ الْهَادِي تَحَرَّكَتْ هَذِهِ الْكُتْلَةُ الضَّخْمَةُ  
الَّتِي فَقَدَتْ الْحَيَاةَ ، مَعَ التِّيَّارِ حَتَّى اخْتَفَتْ عَنِ الْأَنْظَارِ عَلَى الْمَدَى  
الْبَعِيدِ .

رَفَعَ الْبَحَّارَةُ رَأْسَ الْحَوْتِ - وَهِيَ مُعَلَّقَةٌ فِي الْخُطَافِ - إِلَى  
مُنْتَصَفِ الْمَسَافَةِ بَيْنَ سَطْحِ الْبَحْرِ وَالسَّفِينَةِ . وَبَدَأَتْ عَمَلِيَّةُ اسْتِخْرَاجِ  
أَعْلَى الزُّيُوتِ وَأَعْظَمِهَا قِيَمَةً ، مِنْ جُزْئِهَا الْعُلُويِّ . قَدْ يَحْتَوِي رَأْسُ  
هَذَا النَّوْعِ مِنَ الْحَيَتَانِ الضَّخْمَةِ عَلَى خَمْسِمِائَةِ جَالُونٍ مِنَ الدُّهُونِ ،  
وَكَانَ هَذَا الْحَوْتُ ، الَّذِي اصْطَادَهُ سِتَابٌ ، وَاحِدًا مِنْهَا ، إِذْ يَبْلُغُ  
طَوْلُهُ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ مِثْرًا ، وَطَوْلُ الرَّأْسِ وَحْدَهُ سَبْعَةَ أَمْتَارٍ .

تَسَلَّقَ تَاشْتِيغُو ، بِمَا يَتَمَيَّزُ بِهِ مِنْ مَهَارَةٍ وَخَفَةِ حَرَكَةٍ تُضَارِعُ  
الْقِطْطَ ، وَتَقَدَّمَ عَلَى رَأْسِ الْحَوْتِ مُمَسِّكًا بِدَلْوٍ وَخَنَجَرٍ حَادٍّ . فِي  
أَوَّلِ الْأَمْرِ ، ثَقَبَ فُتْحَةً فِي الرَّأْسِ بَعْدَ قَطْعِ جِلْدِهَا السَّمِيكِ ، ثُمَّ  
أَنْزَلَ فِيهَا الدَّلْوَ مُسْتَعْدِمًا عَصًا طَوِيلَةً وَحَبْلًا ، وَبَعْدَ هُنَيْهَةٍ جَذَبَ  
الْبَحَّارَةُ الْمُرَابِطُونَ عَلَى سَطْحِ السَّفِينَةِ الْحَبْلَ ، فَخَرَجَ الدَّلْوُ مِنْ فُتْحَةِ  
الرَّأْسِ مَمْلُوءًا بِالدُّهُونِ ، حَيْثُ تَمَّ تَخْزِينُهَا فِي مَكَانٍ خَاصٍّ .  
وَتَكَرَّرَتْ هَذِهِ الْعَمَلِيَّةُ بِأَنْزَالِ الدَّلْوِ دَاخِلَ الْفُتْحَةِ وَجَذْبِهِ مِنْهَا ، حَتَّى  
تَمَّ تَفْرِيعُ الرَّأْسِ مِنْ كُلِّ مَا بِهِ مِنْ دُهُونٍ .

وَفَجْأَةً وَقَعَتْ حَادِثَةٌ مُخِيفَةٌ مَلَأَتْ قُلُوبَنَا رُعْبًا وَدَعْرًا ؛ إِذْ انْزَلَقَ

## الفصل الحادي عشر كويكُورَغ يُنْقِذُ حَيَاةَ تَاشْتِيغُو

أَثْمَنُ شَيْءٍ فِي الْحَوْتِ كُلِّهِ مَا يَحْتَوِيهِ جِسْمُهُ مِنْ دُهُونٍ ، وَمَا  
يَتَجَمَّعُ فِي رَأْسِهِ مِنْهَا . لِذَلِكَ عِنْدَمَا تَمَّ نَزْعُ شَرَائِحِ الدُّهُونِ  
مِنْ جِسْمِهِ ، فَصَلَ سِتَابُكَ وَسِتَابَ رَأْسِ الْحَوْتِ أَيْضًا .

بَعْدَ ذَلِكَ صَاحَ سِتَابٌ : « فُكُّوا السَّلَاسِلَ ، وَأَطْلِقُوا جُثَّةَ  
الْحَوْتِ . »

وَقَفَزَ الضَّابِطَانِ إِلَى السَّفِينَةِ عَائِدَيْنِ إِلَيْهَا ، عَلَى حِينِ أَرْخَى  
الْبَحَّارَةُ السَّلَاسِلَ ، فَتَلَقَّتْ مِيَاهُ الْبَحْرِ جُثَّةَ الْحَوْتِ الضَّخْمَةَ ، وَحَمَلَتْهُ  
بَعِيدًا عَنِ السَّفِينَةِ رَوِيْدًا رَوِيْدًا . وَكَانَ يَبْدُو فِي حَجْمِهِ الْهَائِلِ عِنْدَمَا  
بَدَأَتْ أَسْمَاكُ الْقِرْشِ وَكِلَابُ الْبَحْرِ تَهْجُمُ عَلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى . وَلَمْ  
يَمُضْ وَقْتُ طَوِيلٍ حَتَّى تَجَمَّعَ عَلَى الْحَوْتِ مَزِيدٌ مِنْ أَسْمَاكِ الْقِرْشِ  
تَنْهَشُ فِيهِ ، وَأَسْرَابٌ مِنَ الطُّيُورِ تَحُومُ حَوْلَهُ . وَتَحْتَ السَّمَاءِ الزَّرْقَاءِ

تَاشْتِغُو الْمُسْكِينُ ، بِمُجَرَّدِ جَذْبِ الدَّلْوِ ، وَسَقَطَ دَاخِلَ فُتْحَةِ  
الرَّأْسِ وَاخْتَفَى فِيهَا .

صَاحَ دَاغُو مُنْفَعِلًا : « ادْفَعُوا الدَّلْوَ تَجَاهَ الْفُتْحَةِ ! »

وَسَرَّعَانَ مَا وَقَعَتْ حَادِثَةٌ أُخْرَى فِي نَفْسِ الْوَقْتِ ، زَادَتْ الْمَوْقِفَ  
سُوءًا عَلَى سُوءٍ ؛ إِذْ أَفْلَتَ أَحَدُ الْخُطَّافَيْنِ الْكَبِيرَيْنِ ، اللَّذَيْنِ يَحْمِلَانِ  
رَأْسَ الْحَوْتِ ، فَهَوَى جَانِبَ مِنَ الرَّأْسِ تَجَاهَ الْبَحْرِ ، وَبَدَأَ مِنَ النَّادِرِ  
أَنْ يَكُونَ لِلْخُطَّافِ الْآخِرِ طَاقَةٌ عَلَى تَحْمِيلِ ثِقَلِ الرَّأْسِ كُلِّهِ .

وَعِنْدَمَا انْدَفَعَ دَاغُو مُتَسَلِّقًا رَأْسَ الْحَوْتِ ؛ مُحَاوِلًا أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا  
مِنْ أَجْلِ إِنْقَازِ تَاشْتِغُو ، صَاحَ فِيهِ الْبَحَّارَةُ مُحَذِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ :  
« اهْبِطْ بِسُرْعَةٍ ! اهْبِطْ ، وَإِلَّا وَاجَهْتَ نَفْسَ الْمَصِيرِ ! »

فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ كَانَ دَاغُو قَابِضًا عَلَى الْحَبْلِ بِيَدٍ وَاحِدَةٍ ، وَإِذَا  
مَا أَفْلَتَ الْخُطَّافُ الثَّانِي مِنْ رَأْسِ الْحَوْتِ فَلَنْ يَكُونَ فِي وَسْعِهِ إِلَّا أَنْ  
يَزْدَادَ تَشَبُّثًا بِالْحَبْلِ ، وَيَعُودَ بِهِ إِلَى السَّفِينَةِ . وَلَكِنْ دَاغُو لَمْ يُلْقِ بِالْأَمْرِ  
لِصِيَاحِ الْبَحَّارَةِ ، وَدَفَعَ بِالدَّلْوِ دَاخِلَ فُتْحَةِ الرَّأْسِ ؛ أَمَلًا فِي أَنْ يَتَلَقَّفَهُ  
تَاشْتِغُو وَيَتَعَلَّقَ بِهِ حَتَّى يُمَكِّنَ إِنْقَازَهُ .

صَاحَ فِيهِ الْبَحَّارَةُ مَرَّةً أُخْرَى فِي هَلَعٍ وَجَرَعٍ : « احْتَرَسْ !  
احْتَرَسْ ! » وَإِذَا بِالْخُطَّافِ الثَّانِي يُفْلِتُ مِنَ الرَّأْسِ وَقَدْ نَاءَ بِحِمْلِهِ ،

فَهَوَى الرَّأْسُ الضَّخْمُ فِي الْبَحْرِ ، وَتَأَرَّجَحَتِ السَّفِينَةُ عَلَى جَانِبَيْهَا  
بَعْدَ أَنْ تَخَلَّصَتْ مِنْ هَذَا الْوِزْنِ الثَّقِيلِ ، مُبْتَعِدَةً عَنْ مَوْقِعِهَا .

تَشَبَّثَ دَاغُو بِالْحَبْلِ وَأَخَذَ يَتَأَرَّجَحُ مُتَدَلِّيًا مِنْهُ ، تَارَةً فَوْقَ رُءُوسِ  
الْبَحَّارَةِ ، وَتَارَةً أُخْرَى فَوْقَ الْبَحْرِ ، عَلَى حِينِ غَاصَ الرَّأْسُ وَتَاشْتِغُو  
بِدَاخِلِهَا فِي مِيَاهِ الْبَحْرِ إِلَى الْقَاعِ .

وَعَلَى حِينِ غَرَّةٍ فَاجَأَ الْبَحَّارَةَ شَبَحٌ رَجُلٍ كَانَ قَابِضًا عَلَى سَيْفٍ  
فِي يَدِهِ . إِنَّهُ كُوبِكُوْغُ - صَدِيقِي الشُّجَاعُ - الَّذِي وَثَبَ عَلَى  
حَاقَةِ السَّفِينَةِ ثُمَّ قَفَزَ فِي الْمَاءِ .

وَهُنَا انْدَفَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا إِلَى جَانِبِ السَّفِينَةِ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ  
لِيُشَاهِدَ مَا يَحْدُثُ .

مَرَّتْ لَحْظَاتٌ ثِقَالٌ وَلَا أَثَرَ لِكُوبِكُوْغٍ وَلَا لِرَأْسِ الْحَوْتِ . وَدَفَعَ  
الْقَلْقُ بَعْضَ الْبَحَّارَةِ فَقَفَزُوا فِي أَحَدِ الْقَوَارِبِ ، وَأَنْطَلَقُوا بِهِ فِي  
الْبَحْرِ .

وَبَيْنَمَا كَانَ دَاغُو لَا يَزَالُ مُتَعَلِّقًا بِالْحَبْلِ رَائِحًا غَادِيًا بِهِ ، صَاحَ  
بَغْتَةً : « هَا هُمَا قَدْ ظَهَرَا هُنَاكَ ! هُمَا الْإِثْنَانِ ! » فَانْطَلَقَتْ صِيْحَةُ  
فَرَحٍ مِنْ أَعْمَاقِ الرِّجَالِ ، وَصَلَتْ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ . وَأَخَذُوا  
يُحْمَلِقُونَ مَشْدُوهِينَ غَيْرَ مُصَدِّقِينَ .

ظَهَرَ كَوَيْكُوعٌ يَشُقُّ الْمَاءَ فِي قُوَّةٍ وَعَظَمٍ ، جَارًا تَاشْتِغُو مِنْ شَعْرِهِ الطُّوِيلِ ، حَتَّى إِذَا وَصَلَا إِلَى الْقَارِبِ رَفَعَهُمَا الْبَحَّارَةُ وَهُمَا فِي حَالَةٍ يُرْتَى لَهَا مِنَ الضَّعْفِ وَالْوَهَنِ ، لِدَرَجَةِ أَنَّ تَاشْتِغُو لَمْ يَسْتَرِدَّ أَنْفَاسَهُ إِلَّا بَعْدَ وَقْتٍ طَوِيلٍ ، أَمَّا كَوَيْكُوعٌ فَقَدْ بَدَأَ عَلَيْهِ الْإِعْيَاءُ وَالْإِجْهَادُ الشَّدِيدُ .

تَجَمَّعَ الْبَحَّارَةُ حَوْلَ كَوَيْكُوعٍ فَوَّرَ وَصُولِهِ إِلَى السَّفِينَةِ . وَسَأَلَتْهُ فِي لَهْفَةٍ : « كَيْفَ أَنْقَذْتَهُ ؟ » وَقَدْ كُنَّا جَمِيعًا نَتَحَرَّقُ شَوْقًا لِسَمَاعِ إِجَابَةِ لِهَذَا السُّؤَالِ .

أَجَابَ كَوَيْكُوعٌ : « قَطَعْتُ أَحَدَ جَانِبَيْ رَأْسِ الْحَوْتِ بِسَيْفِي الْبِتَّارِ ، وَتَقَبَّتُ بِالْقُرْبِ مِنْ قَاعِهَا فَتَحَّةً غَمَسْتُ ذِرَاعِي بِدَاخِلِهَا ، وَلِحُسْنِ حَظِّي أَحْسَسْتُ بِشَعْرِ تَاشْتِغُو ، فَجَذَبْتُهُ إِلَى الْخَارِجِ بِكُلِّ مَا اسْتَطَعْتُ مِنْ قُوَّةٍ . »

هَذِهِ الْمُغَامَرَةُ الْعَجِيبَةُ قَدْ تَبَدُّو مُسْتَحِيلَةً ، لَا يُصَدِّقُهَا عَقْلٌ بَعْضُ الرُّجَالِ ، الَّذِينَ لَمْ يَتَّحِ لَهُمْ فُرْصَةُ الْإِبْحَارِ فِي سَفِينَةٍ لِصَيْدِ الْحِيتَانِ . وَالْأَمْرُ لَا يَعْدُو أَنْ يَكُونَ قِصَّةَ رَجُلٍ شَجَاعٍ جَسُورٍ ، أَقْدَمَ - فِي تَضَحِيَةٍ وَإِخْلَاصٍ - عَلَى إِنْقَازِ حَيَاةِ تَاشْتِغُو ، وَسَاعَدَهُ الْحَظُّ عَلَى تَحْقِيقِ هَذِهِ الْمُعْجِزَةِ . وَلَكِنْ أَحْيَانًا ، حَتَّى تَاشْتِغُو نَفْسُهُ ، مِنْ الْعَسِيرِ عَلَيْهِ أَنْ يُصَدِّقَ هَذَا الْحَظَّ السَّعِيدَ الَّذِي وَاتَاهُ .

قاطعة : هل الحيتان تنفث ماء أم هواء فقط ؟

يَعْرِفُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا أَنَّ الْأَسْمَاكَ تَقْضِي طِيلَةَ عُمْرِهَا تَحْتَ الْمَاءِ ، وَلَا حَاجَةَ بِهَا أَبَدًا إِلَى دَفْعِ رُءُوسِهَا فَوْقَ سَطْحِ الْمَاءِ ؛ طَلَبًا لِمُسْتَشْقِ الْهَوَاءِ . وَلَكِنَّ الْحَوْتَ لَا يُعْتَبَرُ مِنْ فَصِيلَةِ الْأَسْمَاكِ ، إِنَّهُ يَنْتَمِي إِلَى الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي تَعِيشُ فِي الْبَحَارِ . فَإِنَّ أَثْنَى الْحَوْتَ تُرْضَعُ صِغَارُهَا اللَّبَنَ كَمَا تَفْعَلُ بَقِيَّةُ الْحَيَوَانَاتِ . وَتَسْتَطِيعُ الْحَيَتَانُ الْمَعِيشَةَ فَقَطْ عَنْ طَرِيقِ تَنْفُسِ الْهَوَاءِ فَوْقَ سَطْحِ الْمَاءِ .

وَذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَمَا كُنَّا نَجْلِسُ - أَنَا وَكُوبِكُوغ - عَلَى سَطْحِ السَّفِينَةِ سَأَلْتُهُ : « كَيْفَ يَتَنَفَّسُ الْحَوْتُ مَعَ أَنَّ فَمَهُ غَالِبًا مَا يَكُونُ تَحْتَ الْمَاءِ عَلَى الْأَقْلَ بِثَلَاثَةِ أَمْتَارٍ ؟ »

أَجَابَ كُوبِكُوغ : « إِنَّهُ لَا يَتَنَفَّسُ عَنْ طَرِيقِ فَمِهِ ، بَلْ يَتَنَفَّسُ عَنْ طَرِيقِ قُتْحَةٍ فِي قِمَّةِ رَأْسِهِ تُسَمَّى « فُوهَةُ التَّنَفُّسِ » . وَعِنْدَمَا يَتَنَفَّسُ فَإِنَّا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَرَى هَذِهِ الْفُوهَةَ وَمَا يَنْفُثُ مِنْهَا ، وَحِينَئِذٍ نَصِيحُ قَائِلِينَ : « هُنَاكَ ظَهَرَ الْحَوْتُ ! ظَهَرَ بِأَنْفِهِ فَوْقَ سَطْحِ الْمَاءِ ! » »

« إِذَا ، كَمْ مَرَّةً يَحْتَاجُ فِيهَا الْحَوْتُ إِلَى الصُّعُودِ فَوْقَ سَطْحِ الْمَاءِ طَلَبًا لِلتَّنَفُّسِ ؟ »

« إِنَّهُ يَسْتَنْشِقُ كَمِيَّةً مِنَ الْهَوَاءِ تَكْفِيهِ مَدَّةَ سَاعَةٍ مِنَ الزَّمَنِ .

## الفصل الثاني عشر

### معلومات عن الحيتان

قَبْلَ هَذِهِ الرَّحْلَةِ لَمْ تَسْمَحْ لِي الظُّرُوفُ قَطُّ بِمُشَاهَدَةِ الْحَوْتَ عَنْ قُرْبٍ . لَكِنَّ هَذِهِ الْمَغَامِرَاتِ الْأَخِيرَةَ أَثَارَتْ فِي نَفْسِي غَرِيزَةَ الْفُضُولِ وَحُبَّ الْأَسْتِقْصَاءِ ؛ حَتَّى أَتَعَرَّفَ عَلَى هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الضَّخْمَةِ ، الَّتِي يَنْحَصِرُ صَمِيمُ عَمَلِنَا فِي اصْطِيَادِهَا .

بَعْدَ حَوْتَ سِتَابٍ لَمْ نَرَ حَوْتَ آخَرَ طَوَالَ أَسْبُوعَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ ، تَوَقَّرَ لَدِي خِلَالَهَا وَقْتُ كَافٍ لِلتَّفَكُّيرِ فِيهَا .

أَوَّلُ سِمَةٍ مِنْ سِمَاتِ الْحَوْتَ هِيَ مَا يَنْفُثُهُ عَادَةً مِنْ رَذَاذٍ ، وَاعْتَقِدُ أَنَّ كَافَّةَ الْحَيَتَانِ تَتَمَيَّزُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ مُنْذُ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ ، وَأَنَّ الصَّيَّادِينَ رُبَّمَا مُنْذُ مِائَاتِ السِّنِينَ يُرَاقِبُونَ هَذَا الرَّذَاذَ الْمَتَدَفِّقَ مِنْهَا وَيَعْدُونَهُ دَلِيلًا وَاضِحًا عَلَى ظُهُورِ الْحَيَتَانِ .

وَلَكِنَّ ثَمَّةَ سُؤَالٍ وَاحِدًا لَا يَزَالُ فِي حَاجَةٍ إِلَى إِجَابَةٍ مَحْدَدَةٍ

وَيَسْتَطِيعُ بِذَلِكَ أَنْ يَمْكُثَ تَحْتَ الْمَاءِ طِيلَةً هَذِهِ الْمُدَّةُ ، ثُمَّ عَلَيْهِ أَنْ يَصْعَدَ بَعْدَ ذَلِكَ لِعَمَلِيَّةِ اسْتِنْشَاقِ أُخْرَى . وَقَدْ تَعَوَّدَ أَنْ يَظْهَرَ عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ فِي أَوْقَاتٍ مُنْتَظِمَةٍ . وَلَكِنَّهُ إِذَا شَعَرَ بِمُطَارَدَةِ الصَّيَّادِينَ فَإِنَّهُ يَهْبِطُ إِلَى أَعْمَاقِ الْبَحْرِ ، وَقَبْلَ ذَلِكَ قَدْ لَا يَكُونُ لَدَيْهِ إِلَّا وَقْتُ يَسِيرٍ فَقَطُّ لِأَخْذِ نَفْسٍ قَصِيرٍ . وَغَالِبًا مَا يَصْعَدُ مَرَّةً أُخْرَى لِإِتِمَامِ عَمَلِيَّةِ التَّنَفُّسِ ، بِمُجَرَّدِ مَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ .

بَعْدَ هَذِهِ الْمَعْلُومَاتِ الْجَدِيدَةِ الَّتِي عَرَفْتُهَا عَنِ الْحَيْتَانِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ ، سَأَلْتُهُ أَخِيرًا : « هَلْ يَنْفُثُ الْحَوْتُ مَاءً أَمْ هَوَاءً ؟ »

أَجَابَ كويكُوغ : « لَا أَحَدٌ يَعْرِفُ بِالضَّبْطِ ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ شَيْئًا عَجِيبًا . فَإِذَا كُنْتُ قَرِيبًا جِدًّا مِنْهُ وَتَصَادَفَ دُخُولُ الرِّدَادِ الْمَتَدَقِّقِ مِنْهُ فِي عَيْنَيْكَ ؛ فَإِنَّهُ يَصِيبُكَ بِفَقْدَانِ الْبَصَرِ . وَلِذَلِكَ ، فَمِنْ الْحِكْمَةِ عَدَمُ الْاقْتِرَابِ مِنْهُ وَالْحِرْصُ عَلَى الْابْتِعَادِ عَنْهُ بِمَسَافَةٍ مُنَاسِبَةٍ . »

بَعْدَ بَضْعَةِ أَيَّامٍ ، كُنَّا نَبْحِرُ فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ ، وَفَجْأَةً صَاحَ مُرَاقِبُ الْأَسْطِطْلَاعِ : « هُنَاكَ ظَهَرَ الْحَوْتُ ! ظَهَرَ فَوْقَ سَطْحِ الْمَاءِ ! »

انْدَفَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا إِلَى مَكَانِهِ فِي انْتِظَارِ صُدُورِ الْأَوَامِرِ ، وَعَلَى أَتَمِّ اسْتِعْدَادٍ لِتَنْفِيزِهَا فِي حِمَاسٍ دَافِقٍ . وَاشْرَأَبَتْ أَعْنَاقُنَا مُتَطَلِّعَةً إِلَى

الْبَحْرِ ، حَيْثُ شَاهَدْنَا مَجْمُوعَةً مِنَ الْحَيْتَانِ تُشَكِّلُ نِصْفَ دَائِرَةٍ ، يَنْفُثُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا تَيَّارًا نَفَّاثًا ، يَصْعَدُ عَالِيًا فِي الْهَوَاءِ بِانْدِفَاعٍ شَدِيدٍ .

انْطَلَقَتْ سَفِينَتُنَا ، نَاشِرَةً كَامِلَ أَشْرَعَتِهَا ، تَتَعَقَّبُ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةَ مِنَ الْحَيْتَانِ ، الَّتِي تَفَرَّقَتْ فِي كُلِّ الْأَتِّجَاهَاتِ فِي انْزِعَاجٍ وَاضْطِرَابٍ .

هُنَا كَانَتْ صَيِّحَةُ الرُّبَّانِ : « انْطَلِقُوا بِالْقَوَارِبِ وَرَاءَهَا ! »

اتَّجَهَ كُلُّ قَارِبٍ فِي إِثْرِ أَقْرَبِ الْحَيْتَانِ مِنْهُ ، خَارِجَ نِطَاقِ تَجْمُعِهَا ، بَعْدَ أَنْ تَبَاعَدَتْ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ .

أَطْلَقَ كويكُوغُ حَرْبَتَهُ وَدَوَى صَفِيرُهَا فِي الْهَوَاءِ حَتَّى أَصَابَتْ أَحَدَ الْحَيْتَانِ ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَقْتُلْهُ ؛ فَهَاجَ وَمَاجَ وَنَقَرَ سَابِحًا فِي ثَوْرَةٍ عَارِمَةٍ ، سَاحِبًا الْقَارِبَ خَلْفَهُ ، حَتَّى وَصَلَ بِنَا فِي وَسْطِ مَجْمُوعَةٍ أُخْرَى مِنَ الْحَيْتَانِ ، كَأَنَّهُ يَحْتَمِي بِهَا مِنَّا .

وَقَعْنَا فِي مَازِقٍ خَطِيرٍ ، وَتَعَرَّضْنَا لِبَطْشِ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْخَائِفَةِ ، الَّتِي تَحُومُ حَوْلَنَا فِي دُغْرِ وَفَزَعٍ . حَاوَلْنَا السَّيْرَ بِقَارِبِنَا بَيْنَهَا وَلَكِنَّ أَجْسَامَهَا الضَّخْمَةَ كَانَتْ تَضْغُطُّ عَلَيْنَا بِشِدَّةٍ ؛ مُعْتَرِضَةً طَرِيقَنَا . وَفِي ظِلِّ هَذَا الْمَوْقِفِ الْمُضْطَرِّبِ تَمَكَّنَ الْحَوْتُ الْمُصَابُ بِخَرَبَةٍ

كويكُوغْ أَنْ يُحَرِّرَ نَفْسَهُ ، وَيَلْوَدَّ بِالْفِرَارِ قَرَحًا بِالنَّجَاةِ . وَمَكْثُنَا وَسَطَ  
هَذَا الْحَشْدِ الْهَائِلِ مِنَ الْحِيتَانِ ، وَتَسَاءَلْتُ فِي يَأْسٍ عَمَّا إِذَا كَانَ  
لَدَيْنَا فُرْصَةٌ لِلْمَخْلَاصِ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ . وَظَلَلْنَا نَتَرَقَّبُ - فِي قَلْقٍ  
شَدِيدٍ - حَدُوثَ ثَغْرَةٍ فِي هَذَا الْجِدَارِ الْمَتِينِ مِنَ الْحِيتَانِ الْمُتَكَاتِفَةِ .

وَعَلَى حِينِ غِرَّةٍ ، حَدَثَ شَيْءٌ مَا أَثَارَ خَوْفَ الْحِيتَانِ مَرَّةً أُخْرَى ،  
مِمَّا جَعَلَ الْمَجْمُوعَةَ كُلَّهَا تُعَاوِدُ السَّبَاحَةَ مِنْ جَدِيدٍ حَوْلَ قَارِنَا .

صَاحَ سِتَارَبُكُ : « اطْرُدُوهَا بَعِيدًا ضَرْبًا بِالْمَجَادِيفِ ! هَا هِيَ  
فُجُوءٌ تَنْفَرِّجُ بَيْنَهَا ، الْآنَ ، شُدُّوا الْمَجَادِيفَ ، يَا رِجَالُ ! وَاضْرِبُوا بِهَا  
الْمِيَاءَ ، وَادْفَعُوا الْقَارِبَ إِلَى الْأَمَامِ إِنْقَازًا لَأَرْوَاحِكُمْ . »

خَرَجْنَا مِنْ هَذِهِ الْأَزْمَةِ بِسَلَامٍ ، وَلَا حَظُنَا أَنَّ الْحِيتَانِ تَنْصَرِفُ بَعِيدًا  
عَنَّا ، وَلَا فَائِدَةٌ مِنْ تَعَقُّبِهَا ؛ فَقَدْ كَانَ الْقَارِبُ مُمْتَلِئًا بِالْمَاءِ ، وَكُنَّا  
جَمِيعًا فِي حَالَةٍ لَا نُحْسَدُ عَلَيْهَا مِنَ التَّعَبِ وَالْإِرْهَاقِ . فَمِنْ ذَلِكَ  
الْعَدَدِ الْكَبِيرِ مِنَ الْحِيتَانِ لَمْ نَظْفَرْ إِلَّا بِحَوْتٍ وَاحِدٍ ، وَفَرَّتْ جَمِيعُ  
الْحِيتَانِ الْأُخْرَى هَارِبَةً .

## الفصل الثاني عشر السَّفِينَةُ الْفَرَنْسِيَّةُ

كَانَتْ الْحَيَاةُ فَوْقَ سَفِينَةِ صَيْدِ الْحِيتَانِ بِالنَّسْبَةِ لِي تَجَرِبَةً غَايَةً فِي  
الْغَرَابَةِ . أحيانًا نَكُونُ مَشْغُولِينَ لِأَقْصَى حَدٍّ ، حَيْثُ نَتَعَقَّبُ حَوْتًا  
حَتَّى نَظْفَرُ بِهِ - إِذَا مَا حَالَفَنَا الْحَظُّ - خِلَالَ سَاعَةٍ أَوْ سَاعَتَيْنِ . وَمَعَ  
ذَلِكَ لَا يَعْدُو هَذَا أَنْ يَكُونَ بِدَايَةِ فَقْطُ لِلْعَمَلِ الْجَادِّ ؛ فَعَلَيْنَا تَقْطِيعَ  
وَأَسْتِخْرَاجَ شَرَائِحِ الدُّهُونِ مِنْ جِسْمِهِ ، ثُمَّ غَلَّيْهَا وَتَقْرِيبُ رَأْسِ الْحَوْتِ  
مِمَّا يَحْوِيهِ مِنْ دُهُونٍ ، وَنَزَعُ أَسْنَانِهِ وَعِظَامِ الْفَكِّ الطَّوِيلَةِ ، الَّتِي تُعَدُّ  
أَيْضًا أَجْزَاءً ثَمِينَةً مِنَ الْحَوْتِ . وَتَتَطَلَّبُ كَافَّةُ هَذِهِ الْعَمَلِيَّاتِ ثَلَاثَةٌ أَوْ  
أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ .

وَفِي أَحْيَانٍ أُخْرَى ، لَمْ يَكُنْ لَدَيْنَا - غَالِبًا - أَيُّ عَمَلٍ نَقُومُ بِهِ ،  
اللَّهُمَّ إِلَّا تَنْظِيفَ السَّفِينَةِ . أَمَّا نَوْبَةُ الْمُرَاقَبَةِ الَّتِي تَسْتَعْرِقُ سَاعَتَيْنِ  
وَنَوْبَةُ قِيَادَةِ السَّفِينَةِ ، فَكَانَتْ هَذِهِ أَوْ تِلْكَ تَنْقُضِي عَلَى مَا يَبْدُو  
بِسُرْعَةٍ فَائِقَةٍ ، لَا نَشْعُرُ بِمُرُورِ الْوَقْتِ خِلَالِهَا . وَفِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ

كَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَقُومَ بِإِصْلَاحِ الْأَشْرَعَةِ . وَلَكِنِّي أَتَذَكَّرُ السَّاعَاتِ الطُّوَالَ ، الَّتِي كُنَّا نَقْضِيهَا فَقَطُ فِي الْجُلُوسِ عَلَى سَطْحِ السَّفِينَةِ ، نَتَجَادَبُ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ . فَإِذَا كَانَ الْجَوُّ دَافِئًا مُشْمِسًا فَإِنَّا نَسْتَمْتِعُ بِأَحَادِيثِ سَارَةٍ مُبْهِجَةٍ عَلَى الدَّوَامِ ، حَيْثُ يَقْصُ عَلَيْنَا مُعْظَمُ الْبَحَّارَةِ أَشْكَالًا وَأَلْوَانًا مِنْ مُغَامِرَاتِهِمْ وَمُخَاطَرَاتِهِمْ مَعَ الْحَيْتَانِ .

اسْتَمَرَّتِ السَّفِينَةُ بِكُودٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَصَلْنَا إِلَى الْمَحِيطِ الْهِنْدِيِّ ، حَيْثُ كَانَ الْجَوُّ حَارًّا وَالسَّمَاءُ مُلْبَدَّةً بِالسُّحُبِ فِي أَغْلَبِ الْأَحْيَانِ . فِي ظِلِّ هَذَا النَّوْعِ مِنَ الطَّقْسِ لَمْ تَكُنْ أَحْسَنُ الْقَصَصِ - فِي اعْتِبَارِنَا - مُثِيرَةً أَوْ مُسَلِّيةً . وَكُنْتُ أَوَدُّ أَنْ يَحْدُثَ شَيْءٌ مَا يُبَدِّدُ هَذَا الْمَلَلَ الَّذِي طَغَى عَلَيْنَا ، وَرَبَّمَا كَانَ الْبَحَّارَةُ يَضْمُرُونَ نَفْسَ الْإِحْسَاسِ ، بَدَلًا مِنْ هَذِهِ الْحَيَاةِ الرَّثِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَسِيرُ عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ ، خِلَالَ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ . وَفَعَلًا حَدَثَ مَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحُسْبَانِ ، وَلَكِنَّهُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا سَارًّا عَلَى الْإِطْلَاقِ .

انْدَلَعَتْ فِي الْجَوِّ الْمَحِيطِ بِنَا رَائِحَةٌ كَرِيهَةٌ ، هَبَّتْ عَلَيْنَا مِنَ الْبَحْرِ .

قَالَ سِتَابُ : « إِنِّي أَعْرِفُ هَذِهِ الرَّائِحَةَ . إِنَّهَا رَائِحَةُ حَوْتِ مَيْتٍ . »

وَعِنْدَمَا انْفَشَعَتِ السُّحُبُ شَاهَدْنَا عَلَى بُعْدٍ ، سَفِينَةً تَرَفَعُ عَلَى سَارِبَتِهَا الْعِلْمُ الْفَرَنْسِي . وَمَرْبُوطٌ إِلَى جَانِبِهَا أَحَدُ الْحَيْتَانِ ، الَّذِي لَدُلُّ رَائِحَتِهِ الْكَرِيهَةُ عَلَى أَنَّهُ مَيِّتٌ مُنْذُ أُسْبُوعٍ عَلَى الْأَقْلَى ، أَوْ رُبَّمَا مُنْذُ أُسْبُوعَيْنِ . وَيَبْدُو أَنَّهُ مَاتَ فِي الْبَحْرِ مَيْتَةً طَبِيعِيَّةً ، فَبَعْضُ الْبَحَّارَةِ يَصِيرُونَ عَلَى تَحْمِلِ هَذِهِ الرَّائِحَةِ ؛ مِنْ أَجْلِ الْحُصُولِ عَلَى دُهْنِ الْحَوْتِ ، مَعَ أَنَّ الدُّهُونَ الَّتِي تُسْتَخْرَجُ مِنْ مِثْلِ هَذَا الْحَوْتِ الْمَيِّتِ لَنْ تَكُونَ جَيِّدَةً عَلَى الْإِطْلَاقِ .

وَعِنْدَمَا اقْتَرَبْنَا مِنَ السَّفِينَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ لَاحَظْنَا وُجُودَ حَوْتٍ آخَرَ مَرْبُوطٍ بِجَانِبِهَا . وَكَانَ فِي نَفْسِ الْحَالَةِ السَّيِّئَةِ وَتَفُوحُ مِنْهُ رَائِحَةُ الْعَفُونَةِ .

وَزَادَ الْمَوْقِفَ سُوءًا هُدُوءُ الرِّيَّاحِ ، وَلَا طَاقَةَ لَنَا بِالْفِرَارِ مِنْ هَذِهِ الرَّائِحَةِ الْكَرِيهَةِ ، الَّتِي زَكَمَتْ أَنْوْفَنَا وَضَاقَتْ بِهَا صُدُورُنَا ، حَتَّى كَرِهْنَا تَنْفُسَ الْهَوَاءِ الْمَخْلُوطِ بِهَا .

صَاحَ رُبَانُنَا بِالتَّحِيَّةِ الْمُتَعَارِفِ عَلَيْهَا بَيْنَ السُّفُنِ فِي الْبَحَارِ ، مُسَائِلًا عَمَّا إِذَا كَانَ عَلَى السَّفِينَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ أَحَدٌ يَتَكَلَّمُ اللُّغَةَ الْإِنْجِلِيزِيَّةَ .

أَجَابَ صَوْتُ مِنَ السَّفِينَةِ الْآخَرَى : « نَعَمْ . »

« هَلْ شَاهَدْتُمْ الْحَوْتَ الْأَبْيَضَ ؟ »

« أَيُّ حَوْتَ ؟ »

« الْحَوْتُ الْأَبْيَضُ - مُوْبِي دِك ، هَلْ رَأَيْتُمُوهُ ؟ »

« لَا ! لَمْ نَسْمَعْ قَطُّ عَنْ مِثْلِ هَذَا الْحَوْتَ . »

« لِمَاذَا تَحْجِزُونَ تِلْكَ الْحَيْتَانَ بِجَانِبِ السَّفِينَةِ ؟ أَمْ لَا تَعْرِفُونَ أَنْكُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ الْاسْتِفَادَةَ مِنْ دَهُونِهَا ؟ وَكَيْفَ تُطَيِّقُونَ احْتِمَالَ هَذِهِ الرَّائِحَةِ الْعَفِنَةِ ؟ »

« إِنِّي أَعْرِفُ ذَلِكَ جَيِّدًا ، وَلَكِنَّ الرُّبَانَ لَا يُصَدِّقُ ذَلِكَ . فَهَذِهِ أَوَّلُ رَحْلَةٍ بَحْرِيَّةٍ لَهُ عَلَى سَفِينَةٍ لِصَيْدِ الْحَيْتَانِ . هَلْ تَسْمَحُ بِالْحُضُورِ إِلَى سَفِينَتِنَا لِإِقْنَاعِهِ ؟ رُبَّمَا يُصَدِّقُ مَا تَقُولُ . »

أَخَذَ سَتَابٌ قَارِبًا وَقَادَهُ بِنَفْسِهِ إِلَى السَّفِينَةِ الْأُخْرَى ، حَيْثُ وَجَدَ جَمِيعَ الْبَحَّارَةِ الْفَرَنْسِيِّينَ يَشْكُونَ مَرَّ الشُّكْوَى مِنْ هَذِهِ الرَّائِحَةِ الْكَرِيهِةِ ، وَكَثِيرًا مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ تَفْشِي الْأَمْرَاضِ بَيْنَهُمْ .

حَضَرَ الرُّبَانَ الْفَرَنْسِيُّ لِمُقَابَلَةِ سَتَابٍ ، وَقَالَ الضَّابِطُ الْفَرَنْسِيُّ ، الَّذِي يَتَحَدَّثُ الْإِنْجِلِيزِيَّةَ ، لِسَتَابٍ : « مِنْ فَضْلِكَ ! أَرْجُو أَنْ تُقَدِّمَ لَنَا مَا تَسْتَطِيعُ مِنْ عَوْنٍ ؛ فَإِنَّ رُبَانَ سَفِينَتِنَا لَا يَفْهَمُ أَنَّ هَذِهِ الرَّائِحَةَ

الْمُنْبَعِثَةُ مِنَ الْحَيْتَانِ الْمَيِّتَةِ تَحْمِلُ فِي طَيِّبَاتِهَا خَطَرًا مُحَقَّقًا . »

قَالَ سَتَابٌ : « وَلَكِنَّهُ لَا يَتَحَدَّثُ اللُّغَةُ الْإِنْجِلِيزِيَّةَ . وَلِذَلِكَ سَتَفْقُ عَلَى تَنْفِيدِ خُطَّةٍ بَسِيطَةٍ لِخِدَاعِهِ ، وَلَكِنَّهَا سَتَسَاعِدُكُمْ كَثِيرًا ؛ سَأَتَحَدَّثُ إِلَيْكَ بِاللُّغَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ ، وَفِي إِمْكَانِكَ أَنْ تَتَّظَاهَرَ بِأَنِّي أَقْدَمُ لَكَ النَّصِيحَةَ بِخُصُوصِ هَذَا الْمَوْضُوعِ . وَحِينَئِذٍ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَخْبِرَ رَبَّانَكَ بِاللُّغَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ مَا تُرِيدُ أَنْ يَفْعَلَهُ . »

بَدَأَ ضَابِطُ السَّفِينَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ يُخَاطِبُ رَبَّانَهُ بِاللُّغَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ ، مُدَّعِيًا أَنَّهُ يَنْقُلُ إِلَيْهِ حَدِيثَ سَتَابٍ : « إِنَّهُ يَقُولُ ، بِالْأَمْسِ فَقَطُّ قَابِلَ سَفِينَةٍ أُخْرَى ، مَاتَ رَبَّانُهَا وَضَابِطُهَا مِنْ ضَبَاطِهَا وَسِتَّةٌ مِنْ بَحَّارَتِهَا ؛ بِسَبَبِ إِصَابَتِهِمْ جَمِيعًا بِمَرَضٍ انْتَقَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ حَوْتَ مَيِّتٍ ، كَانَ مُرْبُوطًا بِسَفِينَتِهِمْ . »

عِنْدَمَا سَمِعَ الرُّبَانَ ذَلِكَ بَدَتْ عَلَيْهِ الدَّهْشَةُ وَالْاسْتِغْرَابُ ، وَقَالَ : « أَخْبِرْنِي بِمَزِيدٍ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ عَنْ هَذَا الْحَادِثِ . »

قَالَ الضَّابِطُ الْفَرَنْسِيُّ لِسَتَابٍ : « مَاذَا نَفْعَلُ الْآنَ ؟ »

أَجَابَ سَتَابٌ : « حَسَنٌ ! إِنَّهُ لَا يَفْهَمُ كَلِمَةً وَاحِدَةً مِمَّا أَقُولُ . وَلَكِنِّي نَظَرْتُ إِلَيْهِ نَظْرَةً فَاحِصَةً ، وَلَا أَعْتَقِدُ فِي الْحَقِيقَةِ أَنَّهُ الشَّخْصُ الْمُنَاسِبُ لِيَكُونَ قَائِدًا لِسَفِينَةٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ . »

وَهُنَا قَالَ الضَّابِطُ الْفَرَنْسِيُّ لِرَبَّانِهِ كَأَنَّهُ يَنْقُلُ إِلَيْهِ كَلَامَ ستاب :  
« إِنَّهُ يُخْبِرُنِي بِأَنَّ هَذِهِ الْحَيْتَانِ الْمَيْتَتَ خَطِيرَةٌ ، وَإِذَا كُنَّا نَخْشَى عَلَى  
أَرْوَاحِنَا ؛ فَمِنْ الْوَاجِبِ عَلَيْنَا أَنْ نُطْلُقَ سَبِيلَ هَذَيْنِ الْحَوْتَيْنِ بَعِيدًا عَنِ  
السَّفِينَةِ . »

لَمْ يَكِدِ الرَّبَّانُ يَسْمَعُ هَذَا الْكَلَامَ حَتَّى جَرَى إِلَى الْأَمَامِ ،  
وَصَاحَ فِي الْبَحَّارَةِ : « أَقْطَعُوا الْجِبَالَ ، وَأَلْقُوا الْحَوْتَيْنِ فِي الْبَحْرِ . »  
قَالَ الضَّابِطُ الْفَرَنْسِيُّ لِستاب مُتَسَائِلًا : « مَاذَا نَفْعَلُ بَعْدَ  
ذَلِكَ ؟ »

أَجَابَ ستاب : « تَسْتَطِيعُ أَنْ تُخْبِرَهُ أَيْضًا أَنَّنِي فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ  
قَدْ خَدَعْتَهُ . »

قَالَ الضَّابِطُ الْفَرَنْسِيُّ مُخَاطِبًا الرَّبَّانَ مَرَّةً أُخْرَى : « سَيِّدِي ، إِنَّهُ  
يَقُولُ بِأَنَّهُ يَشْعُرُ بِالسَّعَادَةِ الْحَقَّةِ ، وَأَنَّهُ مَسْرُورٌ جَدًّا لِأَنَّ الظُّرُوفَ قَدْ  
أَتَاكَ لَهُ فُرْصَةٌ لِتَقْدِيمِ الْمُسَاعَدَةِ لَنَا . »

عِنْدَئِذٍ طَلَبَ الرَّبَّانُ الْفَرَنْسِيُّ مِنْ ستاب أَنْ يَتَقَضَّلَ بِتَنَاوُلِ  
كَأْسٍ مِنَ الْعَصِيرِ مَعَهُ .

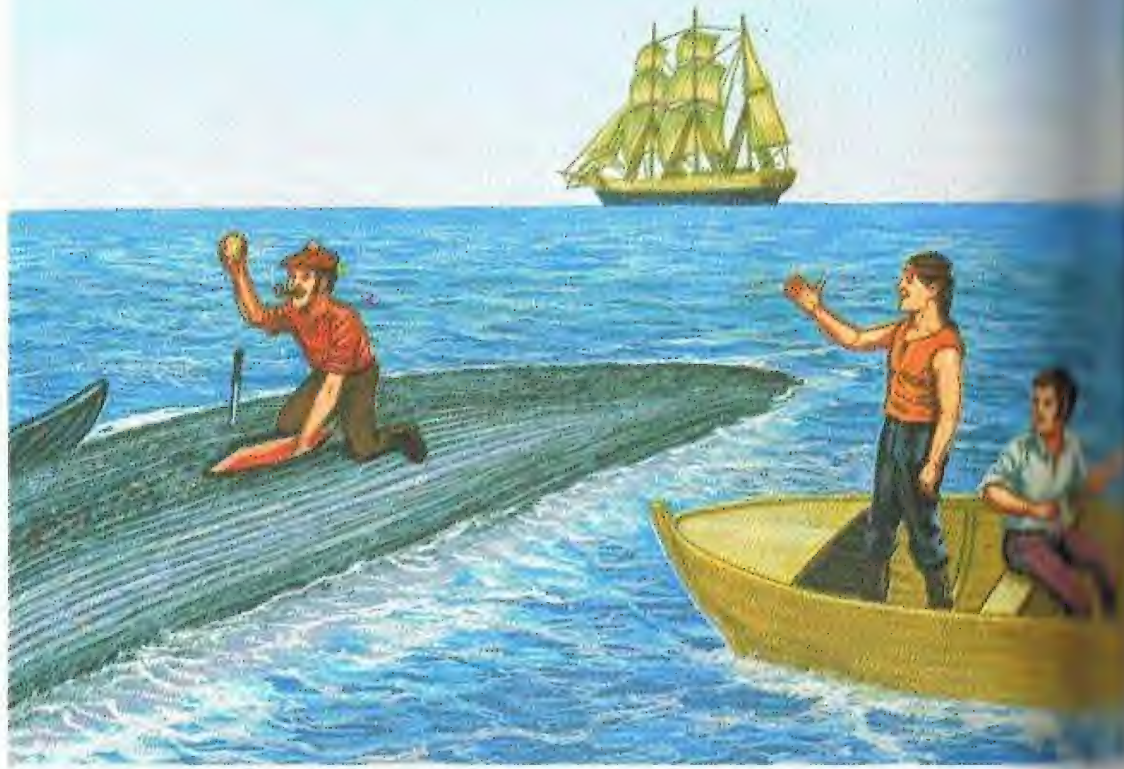
أَجَابَ ستاب : « شُكْرًا جَزِيلًا . وَأَرْجُو أَنْ تُخْبِرَهُ بِأَنَّنِي لَا أَشْرَبُ  
مَعَ رَجُلٍ اشْتَرَكَتْ فِي خِدَاعِهِ ، وَأَنَّنِي يَجِبُ أَنْ أَعُودَ إِلَى سَفِينَتِي

الآن . »

قَالَ الضَّابِطُ الْفَرَنْسِيُّ لِرَبَّانِهِ : « يَقُولُ إِنَّهُ مِنَ الْأَفْضَلِ إِنْزَالُ  
كَافَّةِ الْقَوَارِبِ فِي الْبَحْرِ ، وَاسْتِخْدَامُهَا فِي جَذْبِ السَّفِينَةِ بَعِيدًا عَنِ  
الْحَيْتَانِ الْمَيْتَةِ ، حَيْثُ لَا أَثَرَ لِرِيَّاحٍ تَدْفَعُ الْحَوْتَيْنِ بَعِيدًا عَنِ  
السَّفِينَةِ . »

وَكَانَ لَدَى ستاب حَبْلٌ طَوِيلٌ فِي قَارِبِهِ ، فَأَخْبَرَ الْفَرَنْسِيِّينَ أَنَّهُ  
سَيَعَاوَنُهُمْ بِسَحَبِ أَصْغَرِ الْحَوْتَيْنِ حَجْمًا ، بَعِيدًا عَنِ سَفِينَتِهِمْ .

وَبَعْدَ فِتْرَةٍ يَسِيرَةٍ ، بَدَأَتِ الرِّيحُ تَهْبُّ ، وَتَظَاهَرَ ستاب بِأَنَّهُ سَيُطْلَقُ  
سَرَّاحَ الْحَوْتِ لِيَطْفُقَ فَوْقَ سَطْحِ الْمَاءِ .



## الفصل الرابع عشر استخراج العنبر من الحوت

لَمْ تَكَدْ السَّفِينَةُ الْفَرَنْسِيَّةُ تُبْحِرُ بَعِيداً ، حَتَّى أَسْرَعَ سَتَابٌ عَائِداً  
إِلَى الْحَوْتِ الْمَيِّتِ ، وَأَنْهَمَكَ يَحْفَرُ فِي جُثَّتِهِ بِخَنْجَرٍ طَوِيلٍ ، حَتَّى  
شَقَّ فُتْحَةً عَمِيقَةً .

وَفَجْأَةً صَاحَ فِي بَهْجَةٍ غَامِرَةٍ : « لَقَدْ وَجَدْتُهُ ! لَقَدْ عَثَرْتُ عَلَيْهِ  
أَخيراً ! »

كَانَتْ الرَّائِحَةُ الْكَرِيهَةُ لَا تَزَالُ تُحِيطُ بِالْحَوْتِ وَبِالْمَنْطِقَةِ كُلِّهَا ،  
وَلَكِنَّهَا أَضْحَتْ الْآنَ مَمْزُوجَةً بِرَائِحَةِ عِطْرَةٍ لِلْغَايَةِ ، تَسْرِي  
خِلَالَهَا ، بَلْ تَكَادُ تَتَغَلَّبُ عَلَيْهَا . وَفِي الْحَالِ أَسْقَطَ سَتَابُ الْخَنْجَرِ  
وَدَفَعَ يَدَيْهِ دَاخِلَ الْفُتْحَةِ ، وَأَخَذَ يَسْحَبُ حَفَنَاتٍ مِنْ مَادَّةٍ تُشَبِّهُ  
الصَّبَابُونَ ، يَنْبَعُثُ مِنْهَا رَائِحَةٌ جِدُّ مُنْعِشَةٍ .

قَالَ سَتَابٌ : « إِنَّهُ الْعَنْبَرُ ، الَّذِي يُعْطِي رَائِحَةً حُلِيَّةً لِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ ،

مِثْلِ الصَّبَابُونَ وَالْبُودُورَةِ وَالْمَسَاحِيقِ الْآخَرَى ، وَلَهُ قِيَمَةٌ ثَمِينَةٌ ، عَلَى  
الْأَخْصَ فِي تُرْكِيَا ، حَيْثُ يَسْتَخْدِمُهُ الْمَوَاطِنُونَ هُنَاكَ فِي طَهْيِ  
مَلْعَامِهِمْ . »

هَذِهِ الْمَادَّةُ الْعِطْرَةُ مِنَ الْعَنْبَرِ تَوْجَدُ عَادَةً فِي الْحَيْتَانِ الْمَرِيضَةِ  
فَقَطْ . وَكَانَ سَتَابٌ يَعْرِفُ ذَلِكَ جَيِّداً عِنْدَمَا خَدَعَ الْبَحَّارَةَ  
الْفَرَنْسِيِّينَ بِالتَّخْلِي عَنْ الْحَوْتَيْنِ الْمَرْبُوطَيْنِ بِسَفِينَتِهِمْ .

صاح آخاب بِالتَّحِيَّةِ الْبَحْرِيَّةِ ، وَسَأَلَ كَعَادَتِهِ : « هَلْ رَأَيْتُمْ حَوْتًا أَيْبَضَ ؟ »

أجاب الرُّبَّانُ الْإِنْجِلِيزِيُّ : « هَلْ تَرَى هَذَا ؟ » وَفَتَحَ صَدْرَ مِعْطَفِهِ وَرَفَعَ ذِرَاعًا بَيَظَاءَ اللَّوْنِ . وَفِي دَهْشَةٍ مِنَّا جَمِيعًا شَاهَدْنَا أَنَّهَا مَصْنُوعَةٌ مِنْ عِظَامِ الْحَوْتِ ، وَفِي نِهَآيَةِ هَذِهِ الذِّرَاعِ قِطْعَةٌ مِنَ الْخَشَبِ عَلَى هَيْئَةِ مِطْرَقَةٍ بَدَلًا مِنَ الْيَدِ . وَبِحَرَكَةٍ لَا شُعُورِيَّةٍ صَاحَ آخَابُ عَلَى الْفُورِ : « أَعِدُّوا قَارِبِي ! » وَبَعْدَ دَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ كَانَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى السَّفِينَةِ الْآخَرَى ، وَبَحَارَتُهُ سُمِرَ الْبَشْرَةَ يُجَدِّفُونَ بِقُوَّةٍ وَفُتُوَّةٍ ، عَلَى حِينِ قَائِدِهِمْ ذُو الشَّعْرِ الْأَبْيَضِ يُوجِّهُ دَفَّةَ الْقَارِبِ .

رَحَّبَ الرُّبَّانُ الْإِنْجِلِيزِيُّ بِآخَابٍ تَرْحِيبًا حَارًّا ، وَقَدَّمَ لَهُ التَّحِيَّةَ الْوَاجِبَةَ ، وَمَدَّ لَهُ ذِرَاعَهُ الصَّنَاعِيَّةَ تَغْيِيرًا عَنْ مَشَاعِرِهِ الْوُدِّيَّةِ .

صَاحَ آخَابُ : « هَكَذَا تَتَلَقَّى ذِرَاعَ وَسَاقَ ! ذِرَاعَ لَنْ يَتَسَرَّبَ إِلَيْهَا الضَّعْفُ وَالْوَهْنُ أَبَدًا ! وَسَاقَ لَنْ تَسْتَطِيعَ الْجَرَى أَبَدًا ! أَيْنَ التَّقِيَّتِ الْحَوْتِ الْأَبْيَضِ ؟ وَمَتَى ؟ »

أَشَارَ الرُّبَّانُ الْإِنْجِلِيزِيُّ إِلَى جِهَةِ الشَّرْقِ ، قَائِلًا : « هُنَاكَ ! التَّقِيَّتَةُ فِي الْعَامِ الْمَاضِي . »

« هَلْ هُوَ الَّذِي انْتَزَعَ مِنْكَ تِلْكَ الذِّرَاعَ ؟ »

## الفصل الخامس عشر أَخْبَارٌ عَنِ الْحَوْتِ الْأَبْيَضِ

وَاصِلْنَا رِحْلَةَ الصَّيْدِ عَبْرَ الْمَحِيطِ لِأَسَابِيْعَ عَدِيدَةٍ ، كَانَ خِلَالِهَا الرُّبَّانُ آخَابُ يَقِفُ كُلَّ يَوْمٍ بِسَاقِهِ الْمَصْنُوعَةِ مِنْ عِظَامِ الْحَوْتِ ، الَّتِي اعْتَادَ أَنْ يَضَعَهَا فِي فَتْحَةٍ عَلَى سَطْحِ السَّفِينَةِ ، وَمِنْ وَقْتٍ لآخر يُنَادِي رَجُلَ الْمُرَاقَبَةِ الْقَابِعَ عِنْدَ قِمَّةِ الصَّارِي ، مُتَسَائِلًا : « هَلْ هُنَاكَ أَيُّ دَلِيلٍ عَلَى ظُهُورِ الْحَوْتِ الْأَبْيَضِ ؟ هَلْ شَاهَدْتَ مُوبِي دِكْ ؟ »

وَلَكِنَّ الإِجَابَةَ كَانَتْ دَائِمًا مُخَيِّبَةً لِلْآمَالِ . لَا دَلِيلَ وَلَا عِلَامَةَ وَلَا أَدْنَى إِشَارَةٍ أَيًّا كَانَ نَوْعُهَا ، تُشِيرُ إِلَى ظُهُورِ مُوبِي دِكْ حَتَّى الْآنَ .

وَذَاتَ يَوْمٍ مَرَّتْ عَلَيْنَا سَفِينَةٌ تَرْفَعُ الْعَلَمَ الْإِنْجِلِيزِيَّ . وَرَأَيْنَا رَبَّانَهَا عَلَى سَطْحِهَا . كَانَ رَجُلًا وَسِيمًا يَرْتَدِي مِعْطَفًا أَزْرَقَ تَطْيِيرُ إِحْدَى ذِرَاعِيهِ فِي الْهَوَاءِ مَعَ الرِّيحِ .

« نَعَمْ هُوَ الَّذِي بَتَرَ ذِرَاعِي . هَلْ هُوَ الَّذِي نَزَعَ سَاقَكَ أَيْضًا ؟ »

قال آخاب : « أَخْبِرْنِي ، كَيْفَ حَدَثَ ذَلِكَ ؟ »

« فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ شَيْئًا عَنِ الْحَوْتِ الْأَبْيَضِ ، وَذَاتَ يَوْمٍ أَرْسَلْنَا قَوَارِينَا لِصَيْدِ أَحَدِ الْحِيتَانِ . وَفَعَلًا اصْطَدْنَا وَاحِدًا مِنْهَا فِي الْحَالِ . وَفَجْأَةً انْشَقَّ قَاعُ الْبَحْرِ عَنْ شَبَحٍ أَبْيَضٍ كَبِيرٍ - حَوْتٍ ضَخْمٍ ذِي رَأْسٍ وَظَهَرٍ فِي بَيَاضِ اللَّبَنِ ، وَيُغْطِي جِلْدَهُ كُلَّهُ أَثَارُ جُرُوحٍ كَثِيرَةٍ . »

لَمْ يَتِمَّاكَ آخَابُ نَفْسَهُ فَقَاطَعَهُ صَائِحًا : « إِنَّهُ هُوَ ! مُوبِي دِك ! »

اسْتَطَرَدَ الرُّبَانُ الْإِنْجِلِيزِيُّ قَائِلًا : « وَهَنَّاكَ عَدَدٌ مِنَ الْحِرَابِ مَغْرُوزَةٌ فِيهِ . »

قَاطَعَهُ آخَابُ مَرَّةً أُخْرَى : « أَجَلٌ ، أَجَلٌ . إِنَّهَا حِرَابِي الَّتِي أَصَبْتُهُ بِهَا . وَلَكِنْ أَخْبِرْنِي بِالْمَزِيدِ عَمَّا حَدَثَ . »

قال الرُّبَانُ الْإِنْجِلِيزِيُّ : « اصْبِرْ قَلِيلًا ، وَأَعْطِنِي فُرْصَةً لِلْحَدِيثِ . هَذَا الْحَوْتُ الْهَائِلُ انْدَفَعَ نَحُونَا ، وَأَخَذَ يَقْرِضُ الْجَبَلَ الْمُرْبُوطَ بِالْحَرْبَةِ الَّتِي أَصَابَتْ الْحَوْتَ الْآخَرَ ، كَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُنْقِذَهُ مِنَّا . »

« نَعَمْ ! إِنِّي أَعْرِفُهُ تَمَامًا ! هَذِهِ إِحْدَى خُدَعِهِ الْقَدِيمَةِ مِنْ أَجَلِ

إِطْلَاقِ سَرَاخِ الْحَوْتِ الْآخَرِ . »

« إِنَّهُ أَضْحَخُمُ حَوْتَ رَأَيْتُهُ فِي حَيَاتِي . كَانَ سَبِيًّا فِي أَنْ اُنْدَلَعَتْ فِي نَفْسِي رَغْبَةٌ مُلِحَّةٌ ، لَمْ أَشْعُرْ بِهَا مِنْ قَبْلُ ، لِلظَّفَرِ بِهِ . كُنَّا عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْهُ ، فَالْتَقَطْتُ حَرْبَةً وَأَطْلَقْتُهَا نَحْوَهُ بِكُلِّ مَا أُوتِيتُ مِنْ عَزْمٍ ، حِينَئِذٍ دَارَتْ الدُّنْيَا بِي ، وَأَظْلَمَتْ مِنْ حَوْلِي ، فَقَدْ أَعْمَتْنِي مِيَاهُ الْبَحْرِ ، الَّتِي لَطَمَتْ وَجْهِي فِي انْدِفَاعٍ شَدِيدٍ ، وَمَرَّ ذَيْلُهُ رَأْسًا فَوْقَ رَأْسِي ، ثُمَّ هَوَى عَلَى الْقَارِبِ فَفَصَلَهُ جُزَائِنِ ، وَالْقَى بِنَا فِي الْمَاءِ . وَلَكِنِّي أَنْجُو بِنَفْسِي مِنْ ضَرَبَاتِ ذَيْلِهِ الْعَنِيفَةِ ، قَبِضْتُ عَلَى الْحَرْبَةِ الَّتِي رَشَقْتُهَا فِيهِ ، وَلَكِنَّهُ غَاصَ فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ وَغَضَّتْ مَعَهُ . وَطَوَالَ تَشَبُّهِِي بِالْحَرْبَةِ هَابِطًا مَعَهَا إِلَى الْقَاعِ ، أَحْدَثْتُ قَطْعًا عَمِيقًا عَلَى طَوْلِ ذِرَاعِي حَتَّى يَدِي . عِنْدَئِذٍ حَمَلْتَنِي الْمِيَاهُ بَعِيدًا عَنْهُ ، بَعْدَ أَنْ مَزَّقَتِ الْحَرْبَةُ ذِرَاعِي ، وَصَعِدَتْ بِي إِلَى السَّطْحِ حَيْثُ وَجَدْتُ نَفْسِي طَافِيًا فَوْقَهَا . »

لَمْ يُبِدِ آخَابُ أَيَّ اهْتِمَامٍ بِمَا حَدَثَ لِذِرَاعِ الرُّبَانِ الْإِنْجِلِيزِيِّ ، قَدَّرَ اهْتِمَامِهِ وَتَرَكِيزَ كُلِّ تَفْكِيرِهِ وَمَشَاغِرِهِ عَلَى مُوبِي دِكْ ، فَابْتَدَرَهُ مُتَسَائِلًا : « وَمَاذَا حَدَثَ لِلْحَوْتِ الْأَبْيَضِ ؟ هَلْ شَاهَدْتَهُ مَرَّةً أُخْرَى ؟ »

« أَجَلُ رَأَيْتُهُ مَرَّتَيْنِ . »

« هَلْ اسْتَطَعْتَ الْإِمْسَاكَ بِهِ ؟ »

« لَمْ يَعْذْ لَدَيَّ أَدْنَى رَعْبَةٍ فِي الْقِيَامِ بِمُحَاوَلَةٍ أُخْرَى . أَلَمْ يَكُنْ كَافِيًا فَقَدْ ذَرَعَ وَاحِدَةً ؟ وَمَاذَا عَسَايَ أَنْ أَفْعَلَ إِذَا مَا فَقَدْتُ ذِرَاعِي الْأُخْرَى ؟ لَقَدْ قَرَّرْتُ أَلَا أَقْدِمَ عَلَى آيَةٍ مُحَاوَلَةٍ أُخْرَى لِصَيْدِ الْحَوْتِ الْأَبْيَضِ . لَقَدْ نَازَلْتُهُ مَرَّةً وَاحِدَةً انْتَهَتْ بِكَارَتِهِ وَعَاهَةِ مُسْتَدِيمَةٍ . وَهَذَا يَكْفِي تَمَامًا ! حَقًّا ، إِنِّي غَالِبًا مَا أَعْتَقِدُ أَنَّ الشُّهْرَةَ وَذُيُوعَ الصَّيْتِ سَتُوجِ رَأْسَ الرَّجُلِ الَّذِي يَقْتُلُ الْحَوْتِ الْأَبْيَضَ . وَلَكِنْ مِنَ الْأَفْضَلِ أَنْ نَتْرَكَ الْحَوْتِ الْأَبْيَضَ وَشَأْنَهُ . أَلَا تُوَافِقُنِي عَلَى ذَلِكَ أَيُّهَا الرُّبَّانُ ؟ » وَنَظَرَ فِي تَفَكِيرٍ عَمِيقٍ إِلَى سَاقِ أَخَابِ الْأَصْطِنَاعِيَّةِ نَظْرَةً لَهَا أَكْثَرُ مِنْ مَعْنَى .

« نَعَمْ ، رَبِّمَا . وَلَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ سَيَجِدُ مَنْ يَظْفَرُ بِهِ وَيَقْضِي عَلَيْهِ يَوْمًا مَا . كَمْ مِنَ الزَّمَنِ انْقَضَى مُنْذُ أَنْ شَاهَدْتَهُ آخِرَ مَرَّةٍ ؟ وَأَيُّ جِهَةٍ كَانَ يَقْصِدُهَا ؟ »

وَقَبْلَ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ الرُّبَّانُ الْإِنْجِلِيزِيُّ اسْتَدَارَ أَخَابِ بِحَرَكَةٍ سَرِيعَةٍ إِلَى رَئِيسِ بَحَّارَتِهِ ذِي الشَّعْرِ الْأَبْيَضِ ، أَمْرًا : « فَيُضِ اللَّهُ ! أَحْضِرْ قَارِبِي . سَأَعُودُ قُورًا إِلَى السَّفِينَةِ . »

صَاحَ الرُّبَّانُ الْإِنْجِلِيزِيُّ : « مَاذَا حَدَّثَ ؟ مَاذَا ذَهَكَ ؟ »

وَهَمَسَ فِي أُذُنِ فَيُّضِ اللَّهِ : « هَلْ أَصَابَ رَبَّانُكَ مَسٌّ مِنَ الْجُنُونِ ؟ » وَلَكِنْ فَيُّضُ اللَّهِ وَضَعَ أَصْبَعَهُ عَلَى قَمِهِ ، وَلَمْ يَتَفَوَّهْ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ .

رَجَعَ أَخَابِ إِلَى قَارِبِهِ ، وَجَدَفَ بِحَارَّتِهِ عَائِدِينَ إِلَى السَّفِينَةِ يَبْكُودَ .

المَحْفُوظَةُ فِي الْمَخْزَنِ تَنْسَابُ مِنَ الْبَرَامِيلِ ، وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ نَهْطَ إِلَيْهَا  
لِفَحْصِهَا وَاکْتِشَافِ حَقِيقَةِ الْأَمْرِ .

قَالَ آخَابُ : « هَلْ يُمْكِنُ الْقِيَامُ بِهَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ الْآنَ ؟ إِنَّا نَوْشِكُ  
عَلَى الْوُصُولِ إِلَى فُورْمُوزَا ، وَعَلَيْكَ أَنْ تُسْرِعَ بِتَنْفِيزِهَا ، فَلَيْسَ فِي  
اسْتِطَاعَتِنَا أَنْ نُضَيِّعَ أُسْبُوعًا فِي إِصْلَاحِ الْبَرَامِيلِ . »

كَانَتْ عَمَلِيَّةُ فَحْصِ كَافَّةِ الْبَرَامِيلِ عَمَلًا شَاقًّا فِي غَايَةِ  
الصَّعُوبَةِ ، فَضْلًا عَنْ أَنْ قَاعَ السَّفِينَةِ مَكَانٌ بَارِدٌ يُخَيِّمُ عَلَيْهِ  
الظُّلَامُ . وَرَغْمَ ذَلِكَ كَانَ عَلَى الْبَحَّارَةِ الْعَمَلُ فِيهِ مُدَّةَ يَوْمَيْنِ ،  
وَلَكِنْ الْمَرَضُ أَصَابَ كُويْكُوغَ بَعْدَ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَحَمَّلْ  
الْعَمَلَ فِي هَذَا الْجَوِّ الرُّطْبِ الْخَانِقِ ، وَهُوَ الَّذِي يَعَشُقُ الْهَوَاءَ  
الْمُنْعَشَ وَأَشْعَةَ الشَّمْسِ . أَزْدَادَ عَلَيْهِ الْمَرَضُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ، وَسَاءَتْ  
حَالَتُهُ وَتَدَهَوَّرَتْ صِحَّتُهُ ، لِدَرَجَةٍ أَنْ كُلَّ وَاحِدٍ مِمَّا ظَنَّ أَنَّ نِهَايَتَهُ قَدْ  
حَانَتْ ، وَلَا أَمَلَ فِي شِفَائِهِ ، حَتَّى كُويْكُوغَ نَفْسَهُ دَاخِلَهُ شُعُورٌ  
أَكِيدَ بِاقْتِرَابِ مَوْتِهِ ؛ فَهَمَسَ قَائِلًا : « عَلَيْكُمْ أَنْ تُعِدُّوا لِي تَابُوتًا . »

وَبِكُلِّ مَشَاعِرِ الْحُزْنِ وَالْأَسَى ، صَنَعَ الْبَحَّارَةُ لَهُ تَابُوتًا مِنَ  
الْأَخْشَابِ الْمُلَقَّاةِ بِمَخْزَنِ السَّفِينَةِ .

قَالَ كُويْكُوغُ : « ضَعُونِي فِيهِ مَعَ بَعْضِ الْخُبْزِ وَالْمَاءِ . »

## الفصل السادس عشر

أَيُّهَا الرُّبَّانُ ! عَلَيْكَ أَنْ تَكْبَحَ جِمَاحَ نَفْسِكَ

هُنَاكَ دَائِمًا بَعْضُ الْمِيَاهِ فِي الْجُزْءِ السُّفْلِيِّ لِكُلِّ سَفِينَةٍ شِرَاعِيَّةٍ ،  
وَلَكِنْ الْمِيَاهُ تَجْمَعُ بِكَمِّيَّاتٍ كَبِيرَةٍ دَاخِلَ السَّفِينَةِ بِيَكُودٍ ، لِأَنَّهَا  
مَكْتَثَةٌ فِي الْبَحْرِ مُدَّةً طَوِيلَةً . لِذَلِكَ قَرَّرَ الضُّبَّاطُ ذَاتَ يَوْمٍ نَزْحَهَا  
مِنْ قَاعِ السَّفِينَةِ . وَقَدْ لَاحَظَ سِتَارَبُكَ أَنَّ هَذِهِ الْمِيَاهَ قَدْ امْتَزَجَتْ  
بِزَيْوتٍ هِيَ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ مِنْ زَيْوتِ الْحَوْتِ ؛ فَتَوَجَّهَ فُورًّا إِلَى الرُّبَّانِ  
أَخَابَ لِيُقْضِيَ إِلَيْهِ بِهَذَا النَّبَأِ الْخَطِيرِ ؛ إِذْ إِنَّ ذَلِكَ يَعْنِي أَنَّ زَيْوتَ  
الْحَوْتِ تَتَسَرَّبُ مِنَ الْبَرَامِيلِ الْخَشَبِيَّةِ الْكَبِيرَةِ الْمَخْزُونَةِ فِيهَا .

لَمْ تَكُنِ السَّفِينَةُ بِيَكُودَ فِي ذَلِكَ الْحِينِ بَعِيدَةً عَنِ الْيَابَانِ ، وَكَانَ  
أَخَابُ عَاكِفًا عَلَى دِرَاسَةِ خَرَائِطِهِ . وَحِينَ شَعَرَ بِاقْتِرَابِ أَحَدٍ مِنْهُ ،  
قَالَ دُونَ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَيْهِ : « مَنْ هُنَاكَ ؟ ارْجِعْ مِنْ حَيْثُ أَتَيْتَ ! »

أَجَابَ سِتَارَبُكَ : « إِنَّهُ سِتَارَبُكَ ، يَا سَيِّدِي الرُّبَّانُ . إِنَّ الزُّيُوتَ

وهكذا رَقَدَ كويكُوغ في التَّابُوتِ ، وَتَحْتَ رَأْسِهِ وَسَادَةٌ صَغِيرَةٌ ، وَذِرَاعَاهُ فَوْقَ صَدْرِهِ مُتَقَاطِعَتَانِ .

وَأخِيرًا قَالَ فِي صَوْتٍ خَافِتٍ : « أَخْرِجُونِي مِنْهُ الْآنَ . »

وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ اسْتَعَدَّ لِلْمَوْتِ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ ، قَرَّرَ كويكُوغ أَلَّا يَسْتَسْلِمَ لَهُ ، وَقَاوَمَ الْمَرَضَ مُتَحَمِّلًا مَا يُعَانِيهِ مِنْهُ . وَرَوَّيْدًا رَوَّيْدًا تَحَسَّنَتْ صِحَّتُهُ . وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ نَفَضَ عَنْ كَاهِلِهِ شَبَحَ الْمَرَضِ وَالْأَلَمِ ، وَدَبَّتِ الْقُوَّةُ فِي أَوْصَالِهِ ، وَسَرَتْ الصَّحَّةُ وَالْعَافِيَةُ فِي أَعْضَائِهِ ، حَتَّى غَدَا قَوِيًّا كَمَا كَانَ ، وَعَادَ لِلْعَمَلِ مَرَّةً أُخْرَى .



وَفِي غَيْرِ أَوْقَاتِ الصَّيْدِ ، كَانَ كويكُوغ غَالِبًا مَا يُسَاعِدُ أَحَدَ الْبَحَّارَةِ الْآخَرِينَ فِي عَمَلِهِ . فَكَانَ يُعَاوَنُ صَانِعَ الْمَعَادِنِ الْمُسْتَوِلَ عَنْ جَمِيعِ الْخَنَاجِرِ وَالْحِرَابِ ، الَّتِي تُسْتَخْدَمُ فِي صَيْدِ الْحَيَّاتَانِ ، وَالْمَحَافِظَةِ عَلَيْهَا حَادَّةٌ مَسْنُونَةٌ وَجَاهِزَةٌ لِلْعَمَلِ . وَكَانَ الْبَحَّارَةُ يُعْطُونَهُ خَنَاجِرَهُمْ لِيَشْحَذَهَا لَهُمْ .

وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ كَانَ هَذَا الصَّانِعُ وَاقِفًا أَمَامَ مَوْقِدِهِ الَّذِي تَشْتَعِلُ فِيهِ النَّارُ ، يُؤَدِّي عَمَلَهُ الْمُعْتَادَ . وَبَيْنَمَا كَانَ يَسْحَبُ مِنَ النَّارِ رَأْسَ حَرْبَةٍ مُتَوَهِّجًا أَحْمَرَ ، وَيَطْرُقُ عَلَيْهِ لِيَشْكُلَهُ كَمَا يَشَاءُ ، إِذَا بِالرُّبَّانِ أَخَابَ يَحْضُرُ إِلَيْهِ حَامِلًا حَقِيئَةً جِلْدِيَّةً صَغِيرَةً .

سَأَلَهُ : « مَاذَا تَصْنَعُ الْآنَ ؟ »

« أَقُومُ بِإِصْلَاحِ رَأْسِ حَرْبَةٍ قَدِيمَةٍ ، يَا سَيِّدِي ، كَانَ بِهَا شُقُوقٌ . »

« هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُعِيدَهَا جَدِيدَةً كَمَا كَانَتْ مَرَّةً أُخْرَى ، بَعْدَ جَمِيعِ الِاسْتِخْدَامَاتِ الْعَنِيفَةِ الَّتِي مَرَّتْ عَلَيْهَا ؟ »

« أَعْتَقِدُ ذَلِكَ ، يَا سَيِّدِي . »

« أَظُنُّ أَنَّكَ دُوْ مَقْدِرَةٌ فَائِظَةٌ عَلَى صِيَاغَةِ أَيِّ مَعْدِنٍ فِي شَكْلِ حَرْبَةٍ جَدِيدَةٍ تَمَامًا . إِذَا أَصْنَعُ إِلَى مَا أَقُولُ لَكَ ! » وَأَخَذَ أَخَابَ يَهْزُ

حَقِيقَةُ الْجِلْدِيَّةِ ، الَّتِي صَدَرَ عَنْهَا رَيْنٌ أَخَاذٌ كَمَا لَوْ كَانَتْ مَمْلُوءَةً  
بِعُمَلَاتٍ ذَهَبِيَّةٍ .

قَالَ : « إِنِّي أَيْضًا أُرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ لِي حَرْبَةً . أُرِيدُ حَرْبَةً يَسْتَعْضِي  
كَسَرُهَا عَلَى أَلْفٍ مِنَ الشَّيَاطِينِ ، مَهْمَا بَلَغَتْ قُوَّتُهُمْ ! أُرِيدُ حَرْبَةً  
تَخْتَرِقُ جَسَدَ الْحَوْتِ عِنْدَ انْطِلَاقِهَا ، وَتَسْتَقِرُّ فِي أَعْمَاقِهِ كَعِظْمَةٍ مِنْ  
عِظَامِهِ . »

وَأَلْقَى إِبْهَابُ لِلصَّانِعِ الْحَقِيقَةِ الَّتِي يَحْمِلُهَا ، قَائِلًا : « هَذِهِ  
مَسَامِيرُ مِنْ نِلكَ الَّتِي تُسْتَخْدَمُ فِي تَثْبِيتِ حَدَوَةِ الْحِصَانِ ، الَّذِي  
يَشْتَرِكُ فِي مُبَارَاةِ السَّبَاقِ ، وَهِيَ مِنْ أَجْوَدِ وَأَقْوَى أَنْوَاعِ الصُّلْبِ  
الَّذِي اسْتَخْدَمْتَهُ فِي عَمَلِكَ طَوَالَ حَيَاتِكَ . فَاصْنَعْ لِي مِنْهَا حَرْبَةً  
وَسَأُكَافِئُكَ مِكَافَأَةً كَبِيرَةً تُعَوِّضُكَ عَنِ الْجَهْدِ الَّذِي تَبْدُلُهُ فِي  
ذَلِكَ . »

وَبَيْنَمَا كَانَ صَانِعُ الْمَعَادِنِ وَالرُّبَّانُ يَعْمَلَانِ مَعًا ، مَرَّ بِجَانِبِهِمَا  
فَيْضُ اللَّهِ فِي صَمْتٍ ، وَأَنْحَنَى أَمَامَ النَّارِ تَحِيَّةً وَاحْتِرَامًا ، وَبَدَأَ كَأَنَّهُ  
يَسْبَحُ بِحَمْدِهَا بِكَلِمَاتٍ هَامِسَةٍ ، أَوْ رُبَّمَا كَانَ - فِي حَقِيقَةِ  
الْأَمْرِ - يَصُبُّ اللَّعْنَاتِ عَلَى الْعَمَلِ الَّذِي كَانَ الرُّبَّانُ وَصَانِعُ  
الْمَعَادِنِ يَقُومَانِ بِهِ . وَلَكِنَّ أَحَدًا مِنْهُمَا لَمْ يَلْحَظْهُ .

وَعِنْدَمَا حَانَ وَقْتُ تَبْرِيدِ رَأْسِ الْحَرْبَةِ الْجَدِيدَةِ بِالمَاءِ ، صَاحَ  
آخَابُ : « لَا ، لَا ! لَا تَبْرِيدَ بِالمَاءِ ، فَلَنْ يَرْوِيَهَا إِلَّا الدَّمُ ؛ فَمَا  
صُنِعَتْ إِلَّا لاسْتِعْمَالِهَا فِي الصَّيْدِ وَالْقِتَالِ . » وَنَظَرَ حَوْلَهُ ، وَكَانَ  
كُوبِكُوغُ وَاقِفًا بِالقُرْبِ مِنَ النَّارِ .

صَاحَ مُنَادِيًا : « كُوبِكُوغُ ، تَاشْتِيعُغُ ، دَاغُو ! مَاذَا تَقُولُونَ ؟ »  
لَبَّى الصَّيَّادَانِ الْآخَرَانِ تَاشْتِيعُغُ وَدَاغُو التَّدَاءَ وَحَضَرَا مُسْرِعَيْنِ .  
وَسَأَلَهُمْ آخَابُ : « هَلْ تُعْطُونَ مِنْ دِمَائِكُمْ مَا يُغْطِي هَذِهِ الْحَرْبَةَ  
لِتَبْرِيدِهَا ؟ »

وَافَقَ الرَّجَالُ الثَّلَاثَةُ وَقَالُوا فِي صَوْتٍ وَاحِدٍ : « نَعَمْ ! نَحْنُ عَلَى  
أَتَمِّ اسْتِعْدَادٍ . » جَمَعَ آخَابُ الدَّمَاءَ ، الَّتِي تَدَفَّقَتْ مِنْ جَرَحِ ذِرَاعِ  
كُلِّ مِنْهُمْ فِي إِنَاءٍ مِنَ الصَّفِيحِ ، ثُمَّ صَبَّ أَقْسَى اللَّعْنَاتِ عَلَى هَذِهِ  
الْحَرْبَةِ الْمُلْتَهَبَةِ ، وَهُوَ يَغْمِسُهَا فِي دِمَائِهِمُ الْحَمْرَاءِ الدَّاكِنَةِ  
لِتَبْرِيدِهَا .

« أَرَى عَرَبَتَيْنِ لِنَقْلِ الْمَوْتَى . وَقَبْلَ أَنْ يَنْتَهِيَ بِكَ الْأَجَلُ سَتَرَى هَاتَيْنِ الْعَرَبَتَيْنِ عَلَى سَطْحِ الْبَحْرِ . وَسَتَرَاهُمَا خِلَالَ هَذِهِ الرَّحْلَةِ . »

« مَاذَا تَعْنِي بِهَذَا الْقَوْلِ ؟ وَمَاذَا تَقْصِدُ بِعَرَبَةِ الْمَوْتَى ؟ »

« إِنَّهَا عَرَبَةٌ تَحْمِلُ نَعْشَ الْمَيِّتِ إِلَى الْقَبْرِ . »

« وَلَكِنَّكَ تَرَى هَاتَيْنِ الْعَرَبَتَيْنِ عَلَى الْبَحْرِ ، وَهُمَا يَسِيرَانِ عَلَى الْبَرِّ ! »

« إِنَّنِي فِعْلاً أَرَاهُمَا عَلَى الْبَحْرِ . فَكُلُّ شَيْءٍ يَحْمِلُ الْمَيِّتَ يُعْتَبَرُ عَرَبَةً لِنَقْلِهِ إِلَى الْقَبْرِ ، حَتَّى وَلَوْ كَانَ قَارِبًا أَوْ سَفِينَةً . وَلَكِنَّ الْعَرَبَةَ الْأُولَى الَّتِي تَحْمِلُ نَعْشِي الْخَاصَّ بِي لَنْ تَكُونَ مَصْنُوعَةً بِأَيْدِي الْعُمَّالِ ، أَمَّا عَرَبَةُ الْمَوْتَى الْأُخْرَى فَسَتَكُونُ عَرَبَةً خَشَبِيَّةً مَصْنُوعَةً مِنْ أَحْشَابِ أَمْرِيكَ . »

« مَاذَا تَرَى أَيْضًا غَيْرَ ذَلِكَ ؟ »

« أَرَى بَعْضَ التَّوَابِيَتِ فِي الْبَحْرِ تَحْمِلُ مَوْتَى مِنَ الرِّجَالِ ، إِلَّا تَابُوتًا وَاحِدًا يَحْمِلُ رَجُلًا لَا يَزَالُ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ . »

« مَاذَا عَنكَ أَنْتَ ؟ »

رَدَّ فَيُضِلُّ اللَّهُ : « سَأَمُوتُ قَبْلَكَ ، وَلَكِنِّي سَأُظِلُّ أَقْوَدَ قَارِبِكَ . »

## الفصل السابع عشر فَيْضُ اللَّهِ يَتَّبَعُ بِالْمُسْتَقْبَلِ

أَثْنَاءَ اسْتِمْرَارِ رِحْلَتِنَا عَبْرَ بَحْرِ الْيَابَانِ لَمْ يُغَادِرْ آخَابُ مَكَانَهُ عَلَى سَطْحِ السَّفِينَةِ إِلَّا نَادِرًا . وَكَانَ دَائِمَ التَّحَدُّثِ مَعَ فَيْضِ اللَّهِ - ذِي الشَّعْرِ الْأَبْيَضِ قَائِدِ قَارِبِهِ الْخَاصِّ .

أَمَّا نَحْنُ الْبَحَّارَةُ فَقَلَّمَا نَسْمَعُ مَا يَدُورُ بَيْنَهُمَا مِنْ حَدِيثٍ . وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ كُنْتُ أَعْمَلُ عَلَى مَسَافَةِ قَرِيبَةٍ مِنْهُمَا ، فَسَمِعْتُ الْعَجَبَ الْعُجَابَ .

قَالَ آخَابُ : « انْظُرْ إِلَيَّ ، يَا فَيْضُ اللَّهِ ! انْظُرْ نَحْوِي مُبَاشَرَةً . إِنَّكَ لَا تُوجِّهُ نَظْرَاتِكَ إِلَيَّ ! إِنَّكَ تَنْظُرُ فَوْقَ كَتِفِي . إِلَامَ تَنْظُرُ إِذَا ؟ »

« إِنَّنِي أَتَطَّلَعُ إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ . »

« إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ ! أَخْبِرْنِي مَاذَا تَرَى ! »

وَسَوْفَ تَرَانِي مَرَّةً أُخْرَى قَبْلَ أَنْ تُؤَافِكَ الْمَنِيَّةَ .

« زِدْنِي عِلْمًا ، وَأَخْبِرْنِي مَاذَا تَرَى غَيْرَ ذَلِكَ ؟ »

« أَرَى حَبَلًا طَوِيلًا . »

« هَلْ تَعْنِي أَنِّي سَأَمُوتُ شَقًّا ؟ وَمَا مَعْنَى هَذَا الْحَبْلِ ؟ »

« لَا أَعْرِفُ مَاذَا يَعْنِي الْحَبْلُ ، وَلَكِنْ قَدْ يَكُونُ لَهُ مَعْنَى خَاصٌّ

بِالنِّسْبَةِ لَكَ . فَإِنَّ الْحَبْلَ فَقَطْ قَدْ يَكُونُ سَبَبَ مَوْتِكَ . »

« أَخْبِرْنِي شَيْئًا وَاحِدًا أَيْضًا . هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرَى مُوْبِي دِكْ ؟ »

« نَعَمْ ، أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرَاهُ . »

« وَلَكِنْ أَيْنَ هُوَ ؟ قَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ ؟ »

« لَيْسَ فِي مَقْدِرَتِي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا مُحَدَّدًا فِي هَذَا الصَّدَدِ . وَلَكِنِّي

أَسْتَطِيعُ أَنْ أَخْبِرَكَ بِأَنِّي سَأَرَاهُ قَبْلَ أَنْ تَرَاهُ أَنْتَ أَوْ قَبْلَ أَنْ يَرَاهُ أَيُّ

فَرْدٍ مِنْ رَجَالِكَ . »

« مِنْ الْآنَ فَصَاعِدًا ؛ عَلَيْكَ أَنْ تَمْكُثَ بِجَانِبِي عَلَى سَطْحِ

السَّفِينَةِ وَتُخْبِرْنِي بِمَجْرَدِ أَنْ تُشَاهِدَ مُوْبِي دِكْ ، وَعَلَى أَيِّ مَدَى

يَكُونُ ، قَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ . »

« سَمْعًا وَطَاعَةً ، يَا سَيِّدِي . »

## الفصل الثامن عشر

### العاصفة

فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، مَا كُنْتُ عَلَى يَقِينٍ قَطُّ مِنْ قُدْرَةِ فَيْضِ اللَّهِ عَلَى التَّنَبُّؤِ بِالْمُسْتَقْبَلِ إِلَى هَذَا الْحَدِّ . رُبَّمَا أَلْقَتْ تَنْبُؤَاتُهُ الرُّعْبَ فِي نَفْسِ آخَابَ ، مَعَ أَنَّهُ عَلَى مَا يَبْدُو لَمْ يَسْبِقْ لِأَيِّ شَيْءٍ آخَرَ أَنْ يَبْعَثَ الْخَوْفَ فِي قَلْبِهِ . وَلَكِنَّ التَّعَبَ بَدَأَ يَظْهَرُ عَلَى مَلَامِحِ الرُّبَّانِ . رُبَّمَا بِسَبَبِ الْحَرَارَةِ الشَّدِيدَةِ الَّتِي ضَايَقَتْهُ ، فَقَدْ سَادَ بَحْرُ الْيَابَانِ أَسْوَأَ طَقْسٍ تَعَرَّضْنَا لَهُ فِي رَحَلَتِنَا . وَيَبْدُو أَنَّ مُحَاوَلَةَ اصْطِيَادِ مُوْبِي دِكْ ، الَّتِي لَا نِهَآيَةَ لَهَا ، كَانَتْ السَّبَبَ الْحَقِيقِيَّ الَّذِي جَعَلَ مَشَاعِرَ الْغَضَبِ تَسْتَوْلِي عَلَيْهِ ، لِدَرَجَةٍ أَنَّنَا نَحْنُ الْبَحَارَةَ حَرَصْنَا عَلَى أَنْ نَبْتَعِدَ عَنْهُ . وَفِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ كُنَّا نَشْعُرُ بِأَنَّنَا عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّهُ قَدْ أَصِيبَ بِالْجُنُونِ .

وَذَاتَ صَبَاحٍ كَانَ آخَابُ يَسْتَعْمِلُ الْمِزْوَلَةَ ، وَهِيَ آلَةٌ لِقِيَاسِ

الزُّوَايَا ، تُحَدِّدُ لِلْبَحَارَةِ مَوْقِعَ سَفِينَتِهِمْ وَسَطَ الْمَحِيطِ الْعَرِيزِ

الشَّاسِع . وَلَكِنَّ اسْتِعْمَالَهَا لَا يَكُونُ إِلَّا فِي وَقْتٍ تَوَسَّطَ فِيهِ  
الشَّمْسُ كَيْدَ السَّمَاءِ .

تَطَّلَعَ آخَابُ إِلَى الشَّمْسِ مُنَاجِيًا : « أَيَّتُهَا الشَّمْسُ ! أَنْتِ الْوَحِيدَةُ  
الَّتِي تَسْتَطِيعِينَ إِرْشَادِي وَإِخْطَارِي بِالْحَقِيقَةِ ، بِمَا لَكَ مِنْ قُوَّةٍ  
خَارِقَةٍ ، وَبِمَا لَكَ مِنْ مَوْقِعٍ عَالٍ شَاهِقٍ . إِنَّكَ تَسْتَطِيعِينَ أَنْ تُخْبِرَنِي  
بِالْمَكَانِ الَّذِي تُبْحَرُ فِيهِ سَفِينَتِي الْآنَ . وَلَكِنْ هَلْ يُمْكِنُكَ أَنْ تُخْبِرَنِي  
أَيَّنَ سَأَكُونُ غَدًا ؟ هَلْ يُمْكِنُكَ أَنْ تُخْبِرَنِي أَيَّنَ عَدُوِّي الْآنَ ؟ أَيَّنَ  
مُؤَبِّي دِكْ ؟ إِنَّكَ تَسْتَطِيعِينَ رُؤْيَتَهُ ، وَلَا بُدَّ أَنَّكَ تَنْظُرِينَ إِلَيْهِ الْآنَ ،  
وَلَكِنَّكَ لَنْ تُخْبِرَنِي عَنْ مَكَانِهِ . عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ إِذَا ، وَعَلَى هَذِهِ  
الْمِرْزُولَةِ أَيْضًا . مَا فَائِدَتُهَا ؟ »

بَدَتْ عَلَى آخَابِ عِلَامَاتُ الْغَضَبِ وَالضُّجُرِ . وَرَمَى الْمِرْزُولَةَ عَلَى  
سَطْحِ السَّفِينَةِ صَائِحًا : « لَنْ أَسْتَعْمِلَهَا مَرَّةً أُخْرَى . إِنَّهَا لَا تُخْبِرَنِي  
بِمَا أَوْدُ مَعْرِفَتِهِ . سَأَسْتَعْمِلُ الْبُوصْلَةَ فَقَطْ لِتُبَيِّنَ لِي الْإِتْجَاهَ شِمَالًا أَوْ  
جَنُوبًا ، شَرْقًا أَوْ غَرْبًا . وَأَكْتَفِي بِوَضْعِ مِقْيَاسِ السَّرْعَةِ فِي الْمَاءِ ،  
مَرْبُوطًا بِحَبْلِ خَلْفِ السَّفِينَةِ ؛ لِيَقْيَسَ سُرْعَتَهَا وَالْمَسَافَةَ الَّتِي  
قَطَعْنَاهَا . »

وَفِي سُورَةِ الْغَضَبِ الَّتِي اتَّابَتْهُ ، وَضَعَ قَدَمَهُ السَّلِيمَةَ عَلَى الْمِرْزُولَةِ  
وَضَغَطَ عَلَيْهَا بِكُلِّ قُوَّتِهِ حَتَّى دَمَرَهَا تَمَامًا .

اسْتَدَارَ فَيَضُّ اللَّهُ ، الَّذِي كَانَ وَاقِفًا بِجَوَارِ الرُّبَانِ ، يُرَاقِبُ  
تَصَرُّفَاتِهِ ، وَأَطْلَقَ بَصَرَهُ نَحْوَ الْأَفْقِ عَبْرَ الْبَحْرِ الْمُتْرَامِيِّ الْأَطْرَافِ .

وَفِي مَسَاءِ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، هَبَّتْ عَاصِفَةٌ مُفَاجِئَةٌ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ ،  
وَأَبْحَرَتِ السَّفِينَةَ بِبُكَوْدٍ وَسَطَهَا مُتَّجِهَةً نَحْوَ الشَّرْقِ أَيْضًا . وَبَلَغَتْ  
شِدَّةَ الرِّيَّاحِ أَقْصَاهَا ، لِدَرَجَةِ أَنَّهَا نَزَعَتْ الْأَشْرَعَةَ مِنْ صَوَارِيهَا .  
وَطَفَّتْ مَوْجَةً هَائِلَةً مِنْ مِيَاهِ الْبَحْرِ عَلَى سَطْحِ السَّفِينَةِ ، وَكَسَرَتْ  
قَارِبَ الرُّبَانِ عِنْدَ مُؤَخَّرَةِ السَّفِينَةِ ، وَأَحَالَتهُ إِلَى قِطْعٍ مُتَنَازِلَةٍ .

انْفَجَرَ سِتَارُكَ مِنْ شِدَّةِ اسْتِيَائِهِ قَائِلًا : « إِنِّي لَا أُوَافِقُ عَلَى مَا  
يَحْدُثُ . الْعَاصِفَةُ آتِيَةٌ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ ، وَرَعْمَ ذَلِكَ اخْتَارَ آخَابُ  
هَذَا الْإِتْجَاهَ لِلإِبْحَارِ فِيهِ . انْظُرُوا إِلَى قَارِبِهِ ! لَقَدْ تَحَطَّمَ إِلَى قِطْعٍ  
عِنْدَ مُؤَخَّرَةِ السَّفِينَةِ ، فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي اعْتَادَ الْوُقُوفَ فِيهِ . »

وَفَجْأَةً صَاحَ سِتَارُكَ : « انْظُرُوا ! انْظُرُوا إِلَى قِمَّةِ الصَّارِي  
هُنَاكَ ! اشْتَعَلَتِ النَّارُ فِيهِ وَسَرَتْ عَلَى طُولِ الْجِبَالِ تُحْرِقُهَا  
وَتَلْتَهُمُهَا ! أَصْبَحْنَا مُحَاصِرِينَ بَيْنَ رِيَّاحٍ وَأَمْوَاجٍ عَاتِيَةٍ تَهْبُّ عَلَيْنَا ،  
وَنِيرَانٍ غَرِيبَةٍ الشَّكْلِ تَنْدَلِعُ مِنْ قَوْفِنَا ! »

صَاحَ سِتَارُكَ ضَارِعًا : « اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا جَمِيعًا وَالْطُفَّ بِنَا ! »  
وَفِي وَسْطِ هَذَا الْجَوِّ الْمُضْطَرِبِّ ، الَّذِي يُوحِي بِالْهَلَاكِ وَالْخَطَرِ ،

سَمِعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِّنَا صَوْتَ الرُّبَّانِ ، الَّذِي انْتَابَتْهُ حَالَةٌ مِنَ الْجُنُونِ  
وَالْهَيْدِيَانِ : « نَعَمْ أَيُّهَا الرُّجُلُ ! انْظُرُوا إِلَى النَّارِ الْبَيْضَاءِ الْمُسْتَعْلَةِ  
عَالِيًا ! إِنَّهَا تُرْسِدُنَا إِلَى الطَّرِيقِ الْمُوْدِيِّ إِلَى الْحَوْتِ الْأَبْيَضِ ! إِنِّي  
سَوْفَ أَتْبَعُكَ أَبْتَهَا النَّارُ ! سَاتَّبَعُكَ أَيْنَمَا تَذْهَبُ وَسَاقَتْنِي أَثْرُكَ ! »

لَمْ يَتِمَّا لَكَ سِتَارُكَ نَفْسَهُ فَصَاحَ مُخَاطِبًا الرُّبَّانَ : « الْقَارِبُ !  
انْظُرْ إِلَى قَارِبِكَ ! أَيُّهَا الرَّجُلُ ! »

وَكَانَتِ الْحَرْبَةُ الَّتِي صَنَعَهَا الرُّبَّانُ مِنْ مَسَامِيرِ حَدَوَةِ الْحِصَانِ لَا  
تَزَالُ مَوْضُوعَةً فِي قَارِبِهِ ، وَفِي نِهَآيَةِ نَصْلِهَا الْحَادِّ تَشْتَعِلُ نَارٌ أُخْرَى  
لَا لَوْنَ لَهَا .

وَأَمْسَكَ سِتَارُكَ بِذِرَاعِ آخَابٍ بِقُبْضَةٍ صَارِمَةٍ ، صَائِحًا فِي  
وَجْهِهِ : « كَفَى أَيُّهَا الرَّجُلُ ! إِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَمَّا تَفْعَلُ . دَعْنَا  
نُغَيِّرَ اتِّجَاهَ السَّفِينَةِ وَنُبْحِرَ عَائِدِينَ إِلَى وَطَنِنَا . لَمْ نَرَّ خَيْرًا طَوَالَ هَذِهِ  
الرَّحْلَةِ . إِنَّهَا شَرُّ كُلِّهَا ، يَا سَيِّدِي . أَرْجُوكَ ! دَعْنَا نَعُدَّ إِلَى وَطَنِنَا  
الآنَ . »

كَانَ لِهَذَا الْمَوْقِفِ صَدَى عَمِيقٌ فِي نُفُوسِ جَمِيعِ الْبَحَّارَةِ ، الَّذِينَ  
وَأَقْفُوا سِتَارُكَ عَلَى مَا أَعْرَبَ عَمَّا فِي نُفُوسِهِمْ . وَأَسْرَعُوا يُحْضِرُونَ  
أَشْرَعَةً جَدِيدَةً دُونَ انْتِظَارِ آيَةِ أَوَامِرِ مِنَ الرُّبَّانِ . وَبَدَأَ الْبَحَّارُ الْوَاقِفُ

عَلَى عَجَلَةٍ الْقِيَادَةِ يُدِيرُ اتِّجَاهَ السَّفِينَةِ . وَلَكِنْ آخَابَ سَرْعَانَ مَا  
التَّقَطَّ حَرْبَتُهُ بِنَارِهَا الْمُتَأَجِّجَةِ فِيهَا ، وَصَاحَ فِي الْبَحَّارَةِ قَائِلًا :  
« إِنَّكُمْ أَقْسَمْتُمْ عَلَى صَيْدِ الْحَوْتِ الْأَبْيَضِ ، وَقَطَعْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ  
عَهْدًا وَوَعْدًا بِذَلِكَ . وَسَنَسْتَمِرُّ فِي إِبْحَارِنَا حَتَّى نَنْظُرَ بِهِ . لَنْ  
أَهْرَبَ . لَنْ أَخْشَى شَيْئًا . انْظُرُوا إِلَيَّ . سَأَخْلَصُكُمْ مِنْ مَخَافِكُمْ . »  
وَوَقَفَ مُمَسِّكًا حَرْبَتَهُ ، وَبَنْفَخَ وَاحِدَةً أَطْفَأَ النَّارَ الَّتِي كَانَتْ  
مُسْتَعْلَةً فِي طَرَفِهَا .

وَهَكَذَا اسْتَمَرَّتْ رَحْلَتُنَا إِلَى الشَّرْقِ ، وَأَعْطَى الرُّبَّانُ أَوَامِرَهُ  
بِاصْلَاحِ قَارِبِهِ الَّذِي حَطَّمَتْهُ لَطَمَاتُ الْأَمْوَاجِ .

أجاب البحار : « في اتجاه الشرق ، يا سيدي . »

« هذا ليس صحيحاً ! أنت تكذب علي ! كيف يكون اتجاهنا إلى الشرق ، ولا يزال الوقت مبكراً والشمس خلفنا ؟ نحن إذا نبحر نحو الغرب . »

هذه حقيقة واقعة اكتشفها آخاب وحده ، الأمر الذي حدا به وستارباك إلى النظر معاً إلى بوصلة السفينة ، حيث وجدها بكل وضوح تشير نحو الشرق فعلاً .

تساءل ستارباك : « كيف إذا يمكن أن نكون متجهين نحو الغرب ؟ »

ساد الصمت بينهما ، وبدا الوجوم عليهما ، حتى صاح آخاب قائلاً :

« إنني أعرف سبب ذلك بالطبع ، فقد حدث ذلك من قبل ، يا سيد ستارباك . إن العاصفة الكهربائية التي هبت علينا الليلة الماضية قد أفسدت البوصلة ، وأوقفتها عن العمل كما يجب . هذا بالضبط ما حدث ؛ فهل سمعت عن مثل هذا الأمر ؟ »

## الفصل التاسع عشر

### البوصلة

في صباح اليوم التالي ، كان البحر لا يزال مضطرباً هائجاً ، وأبحرت السفينة تتلاطمها الأمواج في مهب الرياح العاصفة . ووقف آخاب في مكانه الذي اعتاد الوقوف فيه على سطح السفينة . وكان يبدو عليه الهدوء والسكينة وربما السعادة أيضاً .

وبينما تشق السفينة بركود عباب البحر بسرعة ، تدفعها الرياح إلى الأمام ، تحولت السعادة إلى غضب مفاجئ . هناك خطأ ما ، هناك شيء ما لا يسير على ما يرام . وأخذ يتفحص ما حوله على سطح السفينة ، حيث خطرت بباله فكرة رهيبة ، دفعته إلى الإسراع نحو الرجل الواقف على عجلة القيادة ، وسأله :

« في أي اتجاه نبحر الآن ؟ »

أجاب ستارباك وقد بدا وجهه شاحباً : « نَعَمْ ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَحْدُثْ لِي قَطُّ . »

وفي الحال أصدر آخاب أوامره بِتَحْوِيلِ اتِّجَاهِ السَّفِينَةِ ، الَّتِي عَادَتْ مَرَّةً أُخْرَى تَشُقُّ طَرِيقَهَا بِصُعُوبَةٍ عَكْسِ اتِّجَاهِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ .

استطرد آخاب قائلاً : « حَتَّى الْبُوصْلَةُ تُحَاوِلَ إِرْغَامِي عَلَى تَغْيِيرِ مَا عَزَمْتُ عَلَيْهِ ! وَلَكِنِّي سَيِّدُ الْبُوصْلَةِ أَيْضاً ! وَعَلَيْهَا أَلَا تَعْصِي لِي أَمْرًا . سَيِّدُ سِتَارَبَاك ، أَحْضِرْ لِي حَرْبَةً وَإِبْرَةً وَمِطْرَقَةً . »

وعندما أحضر ستارباك هذه الأشياء ، قال آخاب :

« إِنَّ الْعَاصِفَةَ غَيَّرَتْ اتِّجَاهَ إِبْرَةِ الْبُوصْلَةِ ، وَلَكِنِّي سَأَصْنَعُ بُوصْلَةً جَدِيدَةً بِهَذِهِ الْقِطْعَةِ مِنَ الصُّلْبِ ، وَسَتَعْمَلُ فِي كِفَاءَةٍ تُضَارِعُ أَحْسَنَ بُوصْلَةٍ صُنِعَتْ مِنْ قَبْلُ ، وَتُشِيرُ إِلَى الْإِتِّجَاهِ الصَّحِيحِ . »

ونادى الربان البحارة كلُّهم ، وتجمعوا عند مؤخرة السفينة ، حيث أخذ يتحدث إليهم حديثاً مُسْتَفِيزاً ، مُلَوَّحاً بِذِرَاعَيْهِ حَتَّى يُشِيرَ

إِعْجَابَهُمْ بِمَهَارَتِهِ ، وَيَبْهَرُهُمْ بِصِنَاعَتِهِ لِبُوصْلَةٍ جَدِيدَةٍ ، مِنْ الْحَرْبَةِ وَالْإِبْرَةِ .

وصاح فيهم : « انظروا بأنفسكم . أنا سَيِّدُ هَذِهِ الْبُوصْلَةِ . انظروا ! ها هي الشمسُ تَسْطَعُ فِي الشَّرْقِ ، وَهَذِهِ الْإِبْرَةُ تُشِيرُ إِلَى جِهَةِ الشَّرْقِ أَيْضاً ، وَكَأَنَّهَا تُقْسِمُ لَكُمْ أَنَّ هَذِهِ الْبُوصْلَةَ الَّتِي صَنَعْتُهَا بِنَفْسِي تَعْمَلُ عَلَى خَيْرِ وَجْهِ وَبِكُلِّ دَقَّةٍ . »

شعر كلُّ فردٍ على السفينة بِالْخَجَلِ إِزَاءَ مَا أَظْهَرَهُ آخابُ مِنْ كِبَرِيَاءٍ وَغُرُورٍ يُودِيَانِ بِصَاحِبَيْهِمَا وَمِنْ حَوْلِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ . وَهَمَسَ سِتَارَبَاكُ بِدُعَاءٍ حَارٍّ إِلَى اللَّهِ حَتَّى يُظِلَّهُمْ جَمِيعاً بِرَحْمَتِهِ . وَبَدَأَ أَنَّ السَّفِينَةَ يَكُونُ فِي حَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَى قِيْضٍ مِنْ رِعَايَةِ اللَّهِ لِيُنْقِذَهَا بِمَنْ فِيهَا مِنْ تَصَرُّفَاتِ رَبَّانِهَا الطَّائِشَةِ .

وفي آخر ذلك اليوم اكتشف البحارة أَنَّ السَّفِينَةَ قَدْ فَقَدَتْ مِقْيَاسَ السَّرْعَةِ ، وَهُوَ الْآلَةُ الَّتِي وَضَعَهَا آخابُ فِي الْمَاءِ ، وَرَبَطَهَا بِحَبْلِ خَلْفِ السَّفِينَةِ ، وَيَبْدُو أَنَّ الْحَبْلَ انْقَطَعَ وَغَاصَ الْمِقْيَاسُ فِي الْمَاءِ .

وفي ساعةٍ مُبَكَّرَةٍ مِنْ صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي ، سَمِعَ الْبَحَّارَةُ صَيْحَةً

مُخِيفَةً ، وَعِنْدَمَا حَانَتْ مِنْهُمْ التِّفَاتَةُ إِلَى أَعْلَى شَاهَدُوا رَجُلًا يَهْوِي  
مِنْ قِمَّةِ الصَّارِي ، وَعِنْدَمَا نَظَرُوا إِلَى أَسْفَلَ لَمْ يَرَوْا إِلَّا بَعْضَ  
الْأَمْوَاجِ الْبَيْضَاءِ الصَّغِيرَةِ ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا مُشَاهَدَةَ الرَّجُلِ بَعْدَ ذَلِكَ  
مُطْلَقًا .

صَاحَ سِتَارَبِكُ : « أَقْدِفُوا طَوْقَ النُّجَاةِ ! »

لَمْ يَكُنْ طَوْقُ النُّجَاةِ فِي السَّفِينَةِ يَكُونُ عَلَى شَكْلِ حَلْقَةٍ  
مُسْتَدِيرَةٍ كَمَا هُوَ الْيَوْمَ ، بَلْ كَانَ بِرُمِيلاً طَوِيلًا مَرْبُوطًا فِي خُطَافٍ  
بِمُؤَخَّرَةِ السَّفِينَةِ ، وَيُمْكِنُ إِطْلَاقُهُ فِي الْمَاءِ بِسُهُولَةٍ وَقَدْ حَاجَتْ ،  
وَلَكِنْ أَحَدًا لَمْ يَسْتَغْمِلْهُ مُنْذُ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ .

وَلَسَوْعَ الْحَظِّ امْتَلَأَ بِرُمِيلُ النُّجَاةِ بِالْمَاءِ وَغَاصَ فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ .  
أَمَّا الْبَحَّارُ الْغَرِيقُ فَكَانَ يَابَانِيَّ الْجِنْسِيَّةِ ، وَكَانَ يَقُومُ بِنُوبَةِ الْمُرَاقَبَةِ  
وَالِاسْتِطْلَاعِ عِنْدَ قِمَّةِ الصَّارِي ، وَعِنْدَمَا سَقَطَ مِنْ هَذَا الْعُلُوِّ الشَّاهِقِ  
ابْتَلَعَهُ الْبَحْرُ وَغَابَ عَنَّا إِلَى الْأَبَدِ .

تَرْتَّبَ عَلَى ذَلِكَ أَنْ أَصْدَرَ آخَابَ تَعْلِيمَاتِهِ إِلَى سِتَارَبِكِ بِإِعْدَادِ  
بِرُمِيلِ نَجَاةٍ آخَرَ جَدِيدٍ ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْنَا بِرُمِيلٌ خَفِيفُ الْوِزْنِ  
يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْكُثَ طَافِيًا فَوْقَ سَطْحِ الْمَاءِ .

قال كويكوغ : « اسْتَعْمِلُوا التَّابُوتَ الَّذِي سَبَقَ إِعْدَادُهُ لِي  
سَيَكُونُ صُنْدُوقًا لِلنَّجَاةِ يَصْلُحُ لِهَذِهِ الْمُهْمَةِ . »

صاح ستارباك ساخراً : « طَوْقٌ لِلنَّجَاةِ يَتَشَبَّثُ بِهِ الْأَحْيَاءُ ، عَلَى  
هَيْئَةِ تَابُوتٍ تَوْضَعُ فِيهِ الْمَوْتَى ! كَيْفَ يَكُونُ هَذَا التَّنَاقُضُ ؟ إِنِّي  
لَا أُوَافِقُ عَلَى هَذِهِ الْفِكْرَةِ مُطْلَقًا . »

تَسَاءَلَ كويكوغ : « لِمَاذَا لَا يَكُونُ ذَلِكَ ؟ إِنَّ الْأَمْرَ لَا يَحْتَاجُ  
إِلَّا إِلَى إِحْكَامٍ غَلَقِ التَّابُوتِ ، وَتَثْبِيتِ غِطَائِهِ بِالْمَسَامِيرِ ، وَسَدِّ  
الشَّقُوقِ ، ثُمَّ طِلَائِهِ كُلِّهِ . »

وَعِنْدَمَا تَمَّتْ هَذِهِ التَّجْهِيزَاتُ ، أَصْبَحَ تَابُوتُ كويكوغ بِمِثَابَةِ  
طَوْقِ نَجَاةٍ جَدِيدٍ لَنَا .

## الفصل العشرون الرُّبَّانُ غَارِدُونَ يَفْقِدُونَ ابْنَهُ

وَصَلْنَا إِلَى مَكَانٍ مِنَ الْمَحِيطِ كَانَ آخَابُ يَنْشُدُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ .  
هُنَا فِي هَذَا الْبَحْرِ الشَّرْقِيِّ رَأَى مُوبِي دِكَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ ، وَمُنْذُ ذَلِكَ  
الْحَيْنِ سَيَّطَرَتْ عَلَيْهِ فِكْرَةُ قَتْلِ هَذَا الْحَوْتِ الْمَارِدِ ، وَمَلَكَتْ عَلَيْهِ كُلُّ  
حَوَاسِهِ وَتَفَكُّيرِهِ .

لَمْ يَعُدْ آخَابُ يَثِقُ بِنَا نَحْنُ الْبَحَّارَةُ ثِقَةً تَامَةً ، كَمَا كَانَ مِنْ  
قَبْلُ ، فَكَانَ كُلُّ يَوْمٍ يُرَاقِبُ بِنَفْسِهِ ظُهُورَ الْحَوْتِ ، وَفِيضُ اللَّهِ دَائِمًا  
بِجَانِبِهِ .

وَذَاتَ يَوْمٍ كَانَ الرُّبَّانُ وَاقِفًا كَالْمُعْتَادِ عَلَى سَطْحِ السَّفِينَةِ ،  
مُتَرَقِّبًا ظُهُورَ مُوبِي دِكَ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَرَهُ ، بَلْ رَأَى سَفِينَةً كَبِيرَةً تَتَّجِعُ  
بِسُرْعَةٍ نَحْوَ سَفِينَتِنَا بِبِكُودٍ . وَلَاحِظَ آخَابُ أَنَّ عَدَدًا كَبِيرًا مِنْ  
رِجَالِهَا كَانُوا يَقُومُونَ بِمُهْمَةِ الْمُرَاقَبَةِ وَالْإِسْتِطْلَاعِ عِنْدَ قِمَمِ صَوَارِي

السَّفِينَةَ ، الأمرُ الَّذِي يَعْنِي أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَحَثُونَ عَنْ شَيْءٍ هَامٍّ بِكُلِّ  
جِدٍّ وَاهْتِمَامٍ .

وَعِنْدَمَا اقْتَرَبَتْ هَذِهِ السَّفِينَةُ اسْتَطَاعَ آخَابُ أَنْ يَقْرَأَ اسْمَهَا  
« رَاشِيل » وَبَدَأَ رَبَّانُهَا يَصِيحُ لِسَفِينَتِنَا بِكَوْدٍ بِالتَّحِيَّةِ الْبَحْرِيَّةِ الْمُتَعَارِفِ  
عَلَيْهَا .

وَلَكِنْ آخَابُ رَدَّ عَلَيْهِ بِأَعْلَى مَا لَدَيْهِ مِنْ صَوْتٍ ، مُتَسَائِلًا :  
« هَلْ رَأَيْتُمُ الْحَوْتَ الْأَبْيَضَ ؟ »

« نَعَمْ ، رَأَيْنَاهُ أَمْسَ . هَلْ رَأَيْتُمْ أَنْتُمْ قَارِبَ صَيْدٍ مَفْقُودًا ؟ »

لَمْ تَكَدْ تَمْضِي بِضْعُ دَقَائِقَ حَتَّى كَانَ رَبَّانُ السَّفِينَةِ رَاشِيلُ  
يُجَدِّفُ بِأَحَدِ الْقَوَارِبِ مُتَوَجِّهًا إِلَى سَفِينَتِنَا . وَعِنْدَ التَّلَاقِ تَبَيَّنَ أَنَّهُ مِنْ  
جَزِيرَةِ نَانْتُو كِت وَيَدْعَى غَارْدَنَرُ ، وَيَعْرِفُهُ آخَابُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ ، وَرَغْمَ  
ذَلِكَ لَمْ يُحْسِنِ اسْتِقْبَالَهُ ، بَلْ عَلَى الْعَكْسِ تَصَرَّفَ مَعَهُ بِطَرِيقَةٍ غَيْرِ  
لَائِقَةٍ ، فَلَمْ يَهْتَمَّ حَتَّى بِتَحِيَّتِهِ ، وَفَاجَأَهُ مُتَسَائِلًا فِي الْحَالِ : « أَيْنَ  
هُوَ ؟ هَلْ تَمَكَّنَ أَحَدٌ مِنْ قَتْلِهِ ؟ لِمَاذَا لَمْ تَسْتَطِيعُوا الْقَضَاءَ عَلَيْهِ ؟  
أَيْنَ هُوَ الْآنَ ؟ »

أَخَذَ الرَّبَّانُ غَارْدَنَرُ يَحْكِي قِصَّتَهُ :

« انْطَلَقْتُ أَمْسَ ثَلَاثَةَ قَوَارِبَ مِنْ قَوَارِينَا لِاصْطِيَادِ الْحِيتَانِ فِي

مِنْطَقَةٍ بَعِيدَةٍ نَوْعًا مَا عَنْ سَفِينَتِنَا رَاشِيلُ . وَفَجْأَةً رَأَيْتُ رَأْسَ مُوْبِي دِكِ  
الْأَبْيَضِ بِالْقُرْبِ مِنَّا تَمَامًا ، فَأَرْسَلْتُ عَلَى الْفُورِ قَارِبًا آخَرَ لِصَيْدِهِ .  
وَأَخَذْنَا نُرَاقِبُ هَذِهِ الْمَحَاوَلَةَ فِي اهْتِمَامٍ بِالْغِ . وَسَرْعَانَ مَا أُطْلِقَ  
الرِّجَالُ حِرَابَهُمْ عَلَيْهِ . وَفِي لَمَحِ الْبَصَرِ اخْتَفَى الْحَوْتُ الْأَبْيَضُ  
وَالْقَارِبُ مَعًا مِنْ عَلَى سَطْحِ الْبَحْرِ ، وَلَمْ يَظْهَرْ لَهُمَا أَثَرٌ حَتَّى الْآنَ .  
اعْتَقَدْنَا أَنَّ الْحَوْتَ قَدْ سَحَبَ الْقَارِبَ إِلَى أَعْمَاقِ الْبَحْرِ حِينَ غَاصَ  
تَحْتَ سَطْحِ الْمَاءِ ، وَظَلَلْنَا نَتَابَعُ الْمَوْقِفَ وَنُرَاقِبُ الْأَحْدَاثَ ، حَتَّى سَادَ  
الْظُّلَامُ وَعَادَتْ جَمِيعُ الْقَوَارِبِ الْأُخْرَى إِلَى السَّفِينَةِ رَاشِيلُ ، وَلَمْ  
نَتَوَقَّفْ عَنِ الْبَحْثِ عَنِ الْقَارِبِ الْمَفْقُودِ طَوَالَ اللَّيْلِ .

تَسَاءَلَ آخَابُ : « هَلْ وَجَدْتَهُ ؟ »

« لَا . وَإِنِّي أَرْجُوكَ الْآنَ أَنْ تُسَاعِدَنَا فِي الْبَحْثِ عَنْهُ ، خَاصَّةً  
وَأَنَّ وَلَدِي كَانَ مَعَ الصَّيَّادِينَ فِي ذَلِكَ الْقَارِبِ . اسْتَحْلِفُكَ بِاللَّهِ أَنْ  
تُعَاوِنَنَا بِأَقْصَى مَا لَدَيْكَ مِنْ عَزْمٍ فِي مَسْحِ هَذِهِ الْمِنْطَقَةِ مِنَ الْبَحْرِ ،  
بَحْثًا عَنِ الْقَارِبِ . »

هَزَّ آخَابُ رَأْسَهُ مُبْدِيًا عَدَمَ اسْتِعْدَادِهِ لِلِاسْتِجَابَةِ إِلَى تَوَسُّلَاتِ  
غَارْدَنَرِ .

« إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، فَاسْمَحْ لِي بِتَأْجِيرِ السَّفِينَةِ بِكَوْدٍ

لِمُدَّةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ سَاعَةً . وَأَعِدْكَ أَنْ أَدْفَعَ لَكَ أَيَّ مَبْلَغٍ مِنَ الْمَالِ  
تَطْلُبُهُ مِنِّي . اسْمَحْ لِي بِهَذِهِ الْمُدَّةِ الْقَصِيرَةِ فَقَطْ ، وَيَجِبُ أَلَّا تَرْفُضَ  
طَلْبِي . وَإِنِّي عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّكَ سَتَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِي .  
وَلَكِنْ أَخَابَ وَقَفَ صَامِتًا كَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ شَيْئًا .

« لَنْ أَغَادِرَ هَذَا الْمَكَانَ حَتَّى تُوَافِقَ عَلَى طَلْبِي . فَكَّرَ قَلِيلًا ؛ مَاذَا  
لَوْ كَانَ ابْنُكَ أَنْتَ فِي هَذَا الْقَارِبِ الْمَفْقُودِ ؟ أَمْ مُوَافِقٌ أَنْتَ ؟ »  
حِينَئِذٍ صَاحَ الرَّبَّانُ غَارْدَنَرُ مُنَادِيًا بِحَارَةِ السَّفِينَةِ بِكُودَ :  
« هَلُمُّوا إِلَيَّ ، يَا رِجَالُ ! حَوْلُوا دَقَّةَ السَّفِينَةِ . »

عِنْدَ ذَلِكَ خَرَجَ أَخَابُ عَنْ صَمْتِهِ صَائِحًا فِي انْفِعَالٍ : « كَفُّوا  
عَنْ هَذَا الْعَبَثِ ! لَا تَلْمِسُوا حَبَلًا وَاحِدًا ! غَارْدَنَرُ ! إِنِّي لَنْ أُوَافِقَ  
عَلَى ذَلِكَ ! كُلُّ هَذَا التَّعْطِيلِ يُؤَدِّي إِلَى ضِيَاعِ الْوَقْتِ سُدًى !  
كَانَ اللَّهُ فِي عَوْنِكَ . وَلَعَلِّي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَعْفُو عَنْ نَفْسِي أَوْ أَصْفَحَ  
عَنْهَا لِتَصَرُّفِي مَعَكَ عَلَى هَذَا النُّحُو . »

ثُمَّ اسْتَدَارَ أَخَابُ مُبْتَدِعًا عَنْ غَارْدَنَرِ قَائِلًا : « سَيِّدُ سِتَارَبِك !  
اصْرِفْ كُلَّ الْغُرَبَاءِ عَنْ سَفِينَتِي فِي ظَرْفِ ثَلَاثِ دَقَائِقَ . سَنُبْحِرُ فِي  
طَرِيقِنَا كَمَا كُنَّا مِنْ قَبْلُ . »

انْطَلَقَتْ بِكُودَ فِي خَطِّ سَيْرِهَا عَلَى حِينِ كَانَ بِحَارَتُهُ يَشَاهِدُونَ

السَّفِينَةَ رَاشِيلَ ، وَهِيَ تَتَحَرَّكُ إِلَى الْخَلْفِ تَارَةً وَتَبْحِرُ إِلَى الْأَمَامِ  
تَارَةً ، وَجَمِيعُ رِجَالِهَا يَقِفُونَ عَلَى سَطْحِهَا يَبْحَثُونَ عَنْ قَارِبِهِمْ  
الْمَفْقُودِ . وَلَيْسَ هُنَاكَ إِلَّا بَصِيصٌ مِنَ الْأَمَلِ ، أَوْ لَا أَمَلَ عَلَى  
الْإِطْلَاقِ فِي أَنْ يَعْثُرُوا عَلَيْهِ .

يَصْنَعُوا لَهُ مَقْعَدًا خَشِيبًا ، وَرَبَطَ هَذَا الْمَقْعَدَ بِحَبْلَيْنِ مِنَ الْجِبَالِ  
الْمُتَدَلِّكِينِ مِنَ الصَّارِي .

قال آخاب مخاطباً السيد ستاربك : « أَنْتَ الْمَسْئُولُ عَنْ هَذِهِ  
الْجِبَالِ . اجْذِبِ الْمَقْعَدَ إِلَى أَعْلَى حَتَّى يَرْتَفِعَ إِلَى قِمَّةِ الصَّارِي .  
إِنِّي أَوْدُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ شَخْصٍ يَرَى مُوبِي دِكْ . »

جلس آخاب في المقعد وأخذ ستاربك يسحب الحبلين ليرتفع  
المقعد رويداً رويداً ، وَقَدْ امْتَقَعَ وَجْهَهُ حَتَّى وَصَلَ الْمَقْعَدُ إِلَى قِمَّةِ  
الصَّارِي تَقْرِيبًا . وَهُنَاكَ اسْتَقَرَّ آخاب بِالقُرْبِ مِنْ رَجُلٍ الْمُرَاقَبَةِ ،  
يُشَارِكُهُ فِي مُهِمَّةِ الاسْتِطْلَاعِ . أَمَّا بَحَارَةُ السَّفِينَةِ فَكَانُوا يُرَاقِبُونَ  
هَذِهِ التَّصَرُّفَاتِ الْغَرِيبَةَ الَّتِي تَصْدُرُ عَنْ رَبَّانِهِمْ ، وَالْخَوْفُ يَمْلَأُ  
قُلُوبَهُمْ .

كَانَ بَعْضُهُمْ يَحْمِلُونَ طَعَامَ الرُّبَّانِ إِلَى قِمَّةِ الصَّارِي مَرَّتَيْنِ كُلَّ  
يَوْمٍ ، وَعِنْدَمَا يَحِينُ اللَّيْلُ يَهْبِطُونَ بِمَقْعَدِهِ إِلَى سَطْحِ السَّفِينَةِ ، الَّذِي  
لَا يُغَادِرُهُ آخاب أَبَدًا ، لِدَرَجَةِ أَنَّ مَلَابِسَهُ الَّتِي تَبْتَلُ بِمَاءِ الْمَطَرِ  
وَقَطَرَاتِ النَّدى لَيْلًا ، تُجَفِّفُهَا أَشِعَّةُ الشَّمْسِ الَّتِي تَسْطَعُ نَهَارًا ، فَلَا  
وَقْتَ لَدَيْهِ لِتَبْدِيلِهَا .

اسْتَمَرَّتِ السَّفِينَةُ بِكُودٍ فِي الْإِبْحَارِ لَيْلًا وَنَهَارًا . وَالْأَمْوَاجُ

## الفصل الحادي والعشرون

### ظهور موبى دك

ابْتَهَجَ آخاب بِالْأَخْبَارِ الَّتِي سَمِعَهَا عَنْ الْحَوْتِ الْأَبْيَضِ مِنْ رَبَّانِ  
السَّفِينَةِ راشيل ، الَّذِي فُوجِئَ بِالْحَوْتِ أَمْسَ فَقَطُّ بِالقُرْبِ مِنْ  
سَفِينَتِهِ . وَاسْتَنْجَحَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْحَوْتِ الْأَبْيَضَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا مِنْ  
هَذَا الْمَوْقِعِ ، خَاصَّةً وَأَنَّ هَذِهِ الْمِنْطَقَةَ مِنَ الْمَحِيطِ هِيَ إِحْدَى الْأَمَاكِنِ  
الْمُفْضَلَةِ لِمُوبِي دِكْ ، وَالَّذِي انْتَرَعَ فِيهَا سَاقَ الرُّبَّانِ آخاب . وَلَعَلَّ  
هَذَا هُوَ السَّبَبُ الَّذِي جَعَلَ آخاب يَصُمُّ أُذُنَيْهِ عَنِ الاسْتِمَاعِ لِرَجَاءِ  
غَارْدَنَرِ فِي الْبَحْثِ عَنِ الْقَارِبِ الْمَفْقُودِ ، فَقَدْ كَانَ يَخْشَى أَنْ تَضِيعَ  
مِنْهُ فُرْصَةُ مُوَاجَهَةِ مُوبِي دِكْ .

بَدَأَ سَطْحُ السَّفِينَةِ بِكُودٍ فِي هَذَا الْوَقْتِ ضَيْقًا لِلْغَايَةِ ، لَا يَتَّسِعُ  
لِمَا يَعْمَلُ فِي صَدْرِ آخاب مِنْ رَغْبَةٍ عَارِمَةٍ فِي الْعُثُورِ عَلَى مُوبِي  
دِكْ ؛ لِمَلَأَتِهِ وَالْإِنْتِقَامِ مِنْهُ . لِذَلِكَ أَصْدَرَ أَوَامِرَهُ لِلْبَحَّارَةِ أَنْ

« نَعَمْ ، يَا سَيِّدِي . »

« آه ، يَا سِتَارَبِك ! كَانَ يَوْمًا مِثْلَ هَذَا الْيَوْمِ ، تَهَبُّ فِيهِ الرِّيحُ يَرْفُقُ كَأَنَّهَا النَّسِيمُ الْعَلِيلُ ، وَتَصْفُو فِيهِ السَّمَاءُ دُونَ سَحَبٍ أَوْ غُيُومٍ . إِنِّي أَتَذَكَّرُ جَيِّدًا ذَلِكَ الْيَوْمَ مُنْذُ أَرْبَعِينَ عَامًا . فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْبَعِيدِ كُنْتُ شَابًّا يَافِعًا فِي الثَّامِنَةِ عَشْرَةِ مِنَ الْعُمْرِ ، أَتَعَلَّمُ كَيْفَ أَسْتَخْدِمُ الْحَرْبَةَ وَأَتَدْرِبُ عَلَى صَيْدِ الْحَيْتَانِ . مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً كَامِلَةً ! طَوَالَ هَذِهِ السَّنَوَاتِ ظَلَمْتُ أَقُومُ بِصَيْدِ الْحَيْتَانِ حَتَّى الْآنَ . سَنَوَاتٌ وَسَنَوَاتٌ قَضَيْتُهَا فِي هَذَا الْعَمَلِ الشَّاقِّ الْمَخْضُوفِ بِالْمَخَاطِرِ وَالصَّعَابِ . بِحَارٍ عَاصِفَةٍ وَرِيَّاحٍ مُخِيفَةٍ مُرْعِبَةٍ . فَكَّرْتُ مَعِيَ فِي الْحَيَاةِ الَّتِي عِشْتُهَا . سَنَوَاتٌ مِنَ الْوَحْدَةِ وَالشُّعُورِ بِالْعُزْلَةِ . أَعْمَلْتُ عَبْدًا لِلآخَرِينَ . مُنْتَهَى الْحِمَاقَةِ وَالْبَلَاهَةِ . آخَابٌ ، الَّذِي قَارَبَ مِنَ الْعُمْرِ سِتِّينَ عَامًا ، لَمْ يَكُنْ إِلَّا شَخْصًا غَيِّيًا وَلَا يَزَالُ . وَالْآنَ مَا أَنَا إِلَّا شَخْصٌ مَجْنُونٌ يَلْهَثُ وَرَاءَ اصْطِيَادٍ مُجَرَّدٍ حَوْتٍ وَاحِدٍ . وَقَعَ الْأَمْرُ أَنِّي أَصْبَحْتُ أَقْرَبَ إِلَى الشَّيْطَانِ مِنْهُ إِلَى الْإِنْسَانِ . مَاذَا جَنَيْتُ مِنْ هَذِهِ الْحَيَاةِ ؟ هَلْ أَتَمَتَّعْتُ الْيَوْمَ بِشَرَاءٍ أَعْرَضَ وَأَوْسَعَ أَمْ أَتَمَتَّعْتُ بِصِحَّةٍ وَعَافِيَةٍ أَفْضَلَ ؟ لَا هَذَا وَلَا ذَاكَ . بِمَاذَا أَسْتَطِيعُ إِذَا أَنْ أَفْخَرَ وَأَزْهَوْ؟ بِسَاقِي الَّتِي فَقَدْتُهَا أَمْ بِالْعَاهَةِ الْمُسْتَدِيمَةِ الَّتِي تَعَوَّقُ حَرَكَاتِي وَسَكَنَاتِي ؟ مَا أَنَا فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا شَخْصٌ مُسِنٌّ عَاجِزٌ يَعِيشُ بِسَاقٍ



تَمْضِي مَعَ الْأَيَّامِ وَتَتَعَاقَبُ دُونَ عَدَدٍ أَوْ حِسَابٍ ، وَالتَّابُوتُ الَّذِي أُحِيلَ إِلَى طَوْقٍ لِلنَّجَاةِ لَا يَزَالُ يَتَّارَجِحُ عِنْدَ مُؤَخَّرَةِ السَّفِينَةِ .

وَفِي سَاعَةٍ مُبَكَّرَةٍ مِنْ صَبَاحِ أَحَدِ الْأَيَّامِ شَاهَدَ سِتَارَبِكُ الرَّبَّانَ آخَابَ مُسْتَنِدًّا إِلَى سَوْرِ السَّفِينَةِ ، مُحْمَلِّقًا إِلَى الْبَحْرِ . وَبَيْنَمَا كَانَ يَرَاقِبُهُ رَأَى قَطْرَاتٍ مِنَ الدَّمُوعِ تَسْقُطُ مِنْ عَيْنَيْ هَذَا الرَّجُلِ الْمُسِنِّ إِلَى الْبَحْرِ .

دَنَا سِتَارَبِكُ مِنَ الرَّبَّانِ حَتَّى وَقَفَ بِجَانِبِهِ ، وَعِنْدَمَا أَحَسَّ بِهِ الرَّبَّانُ نَادَاهُ قَائِلًا : « سِتَارَبِك ! »

وَاحِدَةً فَقَطْ ، وَبِهَذَا الْكَمِّ مِنَ الْجُنُونِ الَّذِي يُسَيِّطِرُ عَلَى عَقْلِهِ وَتَفَكُّيرِهِ . مَا الَّذِي يَتَحَكَّمُ فِي سُلُوكِي وَيَتَسَلَّطُ عَلَى تَصَرُّفَاتِي ؟ وَمَا الَّذِي يَدْفَعُنِي إِلَى الْهَلَاكِ وَالْذَمَارِ ؟ آه ، يَا سِتَارَبَكَ ! أَخْبِرْنِي مَاذَا تَرَى ؟»

وَلَكِنْ سِتَارَبَكَ - بَعْدَ أَنْ اسْتَمَعَ إِلَى هَذِهِ الْأَهَاتِ وَهَذِهِ الْحَسَرَاتِ ، وَبَعْدَ كَبَتْ دَامَ عَشْرَاتِ السِّنِينَ - نَأَى عَنِ الرُّبَّانِ وَابْتَعَدَ عَنْهُ ، شَا حِبَّ الْوَجْهِ مُمْتَنِعَ الْوَجْهِ كَالْأَمْوَاتِ ، دُونَ أَنْ يَنْطِقَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ فَرْطِ تَأَثُّرِهِ وَحُزْنِهِ وَاضْطِرَابِهِ .

سَارَ آخَابُ عَبْرَ سَطْحِ السَّفِينَةِ ، وَ وَقَفَ مُتَطَلِّعًا إِلَى الْبَحْرِ عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ ، حَيْثُ فُوجِيَ بِعَيْنَيْنِ بَارِزَتَيْنِ فِي مِيَاهِ الْبَحْرِ الصَّافِيَةِ أَسْفَلَ مِنْهُ ؛ فَأُطْلِقَ صَيْحَةً اسْتِغْرَابٍ مُدَوِيَّةً ، وَظَهَرَ أَمَامَهُ خِيَالُ شَخْصٍ لَمْ يَكُنْ إِلَّا فَيْضُ اللَّهِ الَّذِي يُلَازِمُهُ فِي صَمْتٍ وَهَدْوٍ كَأَنَّهُ يَذْكُرُهُ بِتَنْبُوَاتِهِ .

وَفِي اللَّحْظَةِ نَفْسَهَا ، انْطَلَقَتْ صَيْحَةً مِنْ قِمَّةِ الصَّارِي : « ظَهَرَ الْحَوْتُ الْأَبْيَضُ ! ظَهَرَ بِأَنْفِهِ فَوْقَ سَطْحِ الْمَاءِ ! إِنَّهُ مُوبِي دِكَ ! »

## الفصل الثاني والعشرون الرُّبَّانُ فِي فَمِ الْحَوْتِ

دَوَتْ صَيْحَةُ رَجُلِ الْمُرَاقَبَةِ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ السَّفِينَةِ ، وَرَدَدَتْهَا الْبَحَّارَةُ إِعْلَامًا بِظُهُورِ الْحَوْتِ الْأَبْيَضِ . وَفِي أَقْصَرِ وَقْتٍ مُمَكِّنٍ كَانَ الْجَمِيعُ مُسْتَعِدِّينَ فِي قَوَارِبِهِمْ الَّتِي انْطَلَقَتْ بِهِمْ فِي غَرَضِ الْبَحْرِ .

مَرَّةً أُخْرَى انْدَفَعَتْ جَمِيعُ قَوَارِبِ الصَّيْدِ عَلَى سَطْحِ الْمِيَاهِ ، وَفِي مُقَدِّمَتِهَا قَارِبُ الرُّبَّانِ آخَابُ . كَانَ الْبَحْرُ هَادِئًا ، وَكَانَ مِنَ الْيَسِيرِ رُؤْيُهُ ظَهْرَ الْحَوْتِ الْأَبْيَضِ يَنْزَلِقُ فِي هَوَادَةٍ . وَعَلَى حِينِ غَرَّةٍ ارْتَفَعَ ذَيْلُهُ الضَّخْمُ عَالِيًا فِي الْهَوَاءِ وَغَطَسَ فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ . حِينَئِذٍ تَوَقَّفَتِ الْقَوَارِبُ وَظَلَّتْ طَافِيَةً عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ ؛ اِنْتِظَارًا لِيَصْعُودَ مُوبِي دِكَ . وَبَيْنَمَا كَانَ إِيهَابُ يَتَرَقَّبُ ظُهُورَ الْحَوْتِ فِي تَحَفُّزٍ وَانْتِبَاهٍ ، تَجَمَّدَ الدَّمُ فِي عُرُوقِهِ حِينَ شَاهَدَهُ آتِيًا إِلَى السَّطْحِ بِسُرْعَةٍ مُذْهَلَةٍ ، فَاعْرَا فَاهُ إِلَى أَقْصَاهُ ، حَيْثُ رَأَى فِيهِ آخَابَ بِكُلِّ وُضُوحٍ صَفِيٍّ

طَوِيلَيْنِ مِنَ الْأَسْنَانِ وَالْأَثْيَابِ الْبَيْضَاءِ مُتَجِهَةً نَحْوَهُ .

أَدَارَ الرُّبَانُ الْقَارِبَ وَزَحَفَ إِلَى مُقَدَّمَتِهِ وَالتَّقَطَّ الْحَرَبَةُ ، وَلَكِنْ مُوَبِّدِكَ بَدَأَ كَأَنَّهُ يُرَاقِبُهُ ، وَكَمَا لَوْ كَانَ يَعْرِفُ مَا هُوَ عَازِمٌ عَلَيْهِ ؛ فَانْقَلَبَ فَجَاءَةً عَلَى ظَهْرِهِ وَاحْتَوَى الْقَارِبَ فِي قَمِهِ بَيْنَ فَكِّيهِ ، وَأَخَذَ يَتَلَاعَبُ بِهِ كَمَا لَوْ كَانَ قِطْعَةً تُدَاعِبُ قَارَأً .

فِي هَذَا الْوَضْعِ الْحَرَجِ لَمْ يَكُنْ فِي مَقْدُورِ آخَابٍ أَنْ يُهَاجِمَ الْحَوْتَ بِحَرَبَتِهِ ، وَقَدْ أَثَارَتْ مَهَارَةُ الْحَوْتَ ، وَمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ مِنْ شُرُورٍ جُنُونٍ غَضَبِهِ حِينَ وَجَدَ نَفْسَهُ عَاجِزًا فِي الْقَارِبِ ، لَا حَوْلَ لَهُ وَلَا قُوَّةَ ؛ بَيْنَ فَكِّيِ الْحَوْتَ الَّذِي يَمْقُتُهُ أَشَدَّ الْمَقْتِ ؛ فَحَاوَلَ أَنْ يُخْرِجَ الْقَارِبَ مِنْ قَمِ الْحَوْتَ ، وَلَكِنَّهُ فَقَدْ تَوَازَنَهُ وَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ . وَأَطْبَقَ الْحَوْتَ فَكِّيَّهُ عَلَى الْقَارِبِ فَقَضَمَهُ نِصْفَيْنِ ، وَظَلَّ كُلُّ جُزْءٍ مِنْهُمَا طَافِيًا فَوْقَ سَطْحِ الْمَاءِ ، يَتَعَلَّقُ بِهِ الْبَحَّارَةُ أَمْلًا فِي النُّجَاةِ . وَظَلَّ الْحَوْتَ يَحُومُ حَوْلَهُمْ ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَمْ يَجْرَوْا فِيهِ الْبَحَّارَةُ فِي قَوَارِبِ الصَّيْدِ الْأُخْرَى عَلَى مُهَاجَمَتِهِ ؛ خَشْيَةً أَنْ يَعْصِفَ بِالرُّجَالِ الَّذِينَ أَلْقَاهُمْ فِي الْمِيَاهِ بِذَيْلِهِ الضَّخْمِ الْفَظِيعِ ، وَيَقْضِيَ عَلَيْهِمْ قَضَاءً مُبَرِّمًا .

لَمْ يَسْتَطِعِ الرُّبَانُ لِهَذِهِ الْهَزِيمَةِ ، بَلْ صَاحَ عَلَى الرُّجَالِ فَوْقَ



السَّفِينَةُ يَكُونُ : « اتَّجَهُوا بِالسَّفِينَةِ مُبَاشَرَةً نَحْوَ الْحَوْتِ ! اطرِّدوه مِنْ هَذَا الْمَكَانِ ! »

وَطَفَّتْ مَوْجَةً مِنْ أَمْوَاجِ الْبَحْرِ عَلَيْهِ ؛ فَضَاعَتْ كَلِمَاتُهُ بَيْنَ طَيَّاتِ الْمِيَاهِ ، وَلَمْ تَصِلْ إِلَى الرُّجَالِ . رَغِمَ ذَلِكَ ظَلَّ يُكَافِحُ حَتَّى شَقَّ طَرِيقَهُ إِلَى سَطْحِ الْبَحْرِ مَرَّةً أُخْرَى مُضْطَرًّا إِلَى ابْتِلَاعِ كَمِّيَّاتٍ مِنْ مِيَاهِ الْبَحْرِ ، مُحَاوِلًا تَوْصِيلَ أَوَامِرِهِ إِلَى رَجَالِهِ .

وَهَكَذَا تَحَرَّكَتِ السَّفِينَةُ يَكُونُ نَحْوَهُمْ . وَبِمَجْرَدِ ابْتِعَادِ الْحَوْتِ عَنْهُمْ ، انْدَفَعَ بِحَارَةُ الْقَوَارِبِ الْأُخْرَى لِالْتِقَاطِ الرِّبَانِ وَبَحَارَةِ قَارِبِهِ .

رَقَدَ آخَابُ فِي قَاعِ الْقَارِبِ الَّذِي أَنْقَذَهُ فَاقِدَ الْوَعْدِ خَائِرِ الْقَوَى ، وَلَكِنَّهُ تَحَامَلَ عَلَى نَفْسِهِ وَرَفَعَ رَأْسَهُ قَلِيلًا وَهُوَ يُعَانِي مِنْ آلامٍ مُبْرِحَةٍ مُتَسَائِلًا : « هَلْ وَجَدْتُمْ حَرْبَتِي سَلِيمَةً ؟ »

« نَعَمْ ، يَا سَيِّدِي ! لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ فُرْصَةٍ لِإِطْلَاقِهَا عَلَى الْحَوْتِ . »

« ضَعُوهَا بِجَوَارِي . هَلْ فَقَدْنَا أَحَدًا مِنْ رَجَالِنَا ؟ »

« لَا ، يَا سَيِّدِي ! أَنْقَذْنَاهُمْ جَمِيعًا . »

« إِذَا أَعْيَنُونِي عَلَى الْجُلُوسِ . هُنَاكَ عَلَى مَدَى الْبَصَرِ لَا أَرَأُ »

أَرَاهُ مَرَّةً أُخْرَى . »

وَلَكِنْ مُوبِي دَكَ أَطْلَقَ الْعِنَانَ سَابِحًا بِسُرْعَةٍ فَائِقَةٍ ، لَا تَسْمَحُ لِقَوَارِبِ الصَّيْدِ أَنْ تَلْحَقَ بِهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ؛ فَعَادَتْ بِرَجَالِهَا إِلَى السَّفِينَةِ يَكُونُ الَّتِي نَشَرَتْ كَافَّةَ أَشْرَعَتِهَا ، وَأَسْرَعْنَا نَقْتَفِي أَثَرَ الْحَوْتِ الْأَبْيَضِ ، حَتَّى خَيَّمَ الظَّلَامُ . وَظَلَّ آخَابُ مُقِيمًا فَوْقَ سَطْحِ السَّفِينَةِ حَتَّى بَزَعَ ضَوْءُ النَّهَارِ مَرَّةً ثَانِيَةً .

## الفصل الثالث والعشرون

### عَوْدَةُ مُوبِي دِكْ

مِنْذُ صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي تَرَكَزَ اهْتِمَامُ كُلِّ فَرْدٍ مِنْ بَحَّارَةِ السَّفِينَةِ عَلَى تَرَقُّبِ ظَهْرِ مُوبِي دِكْ .

لَمْ يَعْذُ أَيُّ شَخْصٍ مِنْهُمْ بِشَعْرٍ بِخَوْفٍ أَوْ وَجَلٍ ، فَقَدْ أَثَارَتْهُمْ الْمَغَامَرَةُ الَّتِي خَاضَهَا الرُّبَّانُ وَرَجَالُهُ فِي مُوَاجَهَةِ الْحَوْتِ الْأَبْيَضِ ، وَطَغَتْ عَلَى مُخِيلَةٍ كُلِّ مِنْهُمْ . وَبِمَجَرْدِ مَا اسْتَأْنَفَتِ السَّفِينَةُ إِبحَارَهَا فِي أَعْقَابِ مُوبِي دِكْ ، تَلَاشَى كُلُّ خَوْفٍ كَانُوا يَشْعُرُونَ بِهِ مِنْ هَذَا الْحَوْتِ الْمُفْتَرَسِ ، وَتَوَارَى كُلُّ خَطَرٍ كَانُوا يَتَوَقَّعُونَهُ مِنْ جَرَاءِ الْجُنُونِ الَّذِي سَيَّطَرَ عَلَى رَبَّانِهِمْ .

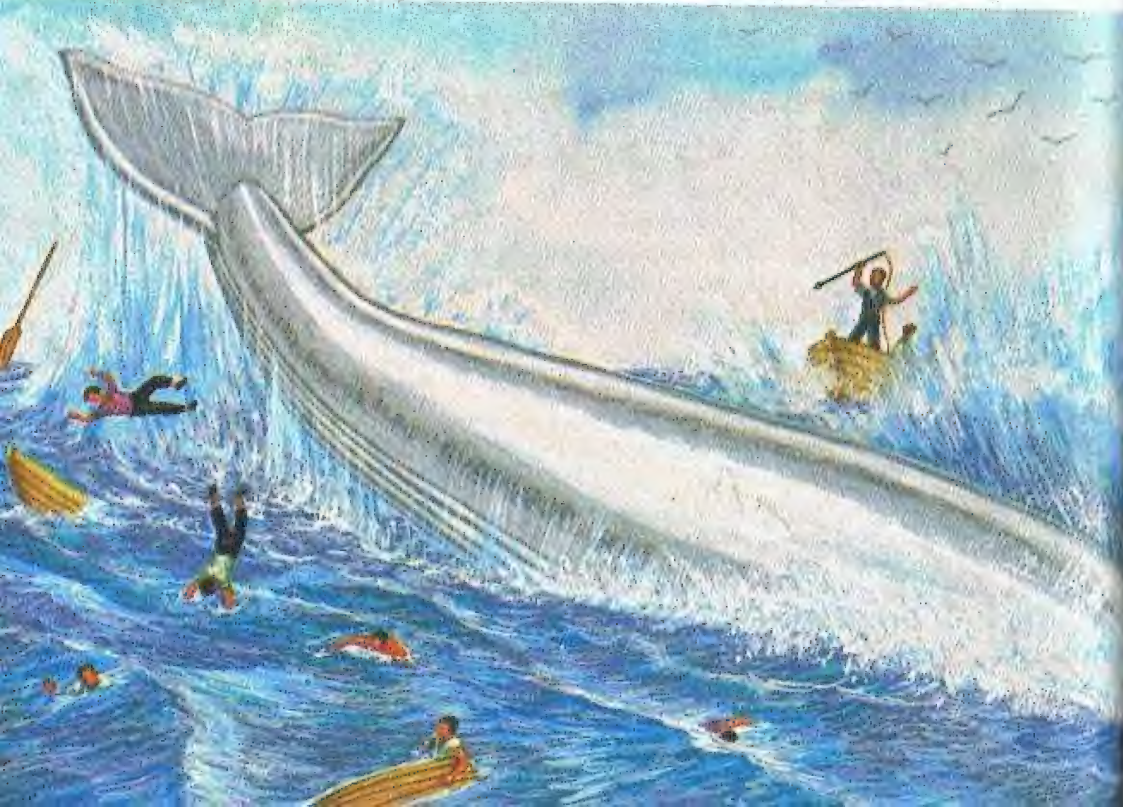
صَاحَ أَخَابُ : « هَلْ تَرَوْنَهُ ؟ هَلْ تَرَوْنَ مُوبِي دِكْ ؟ »

إِنَّهُ هُنَاكَ ! يَصْعَدُ مِنْ أَعْمَاقِ الْبَحْرِ بِأَقْصَى مَا لَدَيْهِ مِنْ سُرْعَةٍ ، وَيَقْفِزُ مُنْطَلِقًا بِجَسَدِهِ كُلِّهِ فِي الْهَوَاءِ ، ثُمَّ يَهْطُ مَرَّةً أُخْرَى كُتْلَةً

وَاحِدَةً بِحَجْمِهِ الضَّخْمِ ، فَيُشِيرُ الْبَحْرَ وَيَجْعَلُهُ هَائِجًا مُضْطَرِبًا بِالْأَمْوَاجِ - الْأَمْوَاجِ الْبَيْضَاءِ الَّتِي تُبَدِّدُ زُرْقَةَ الْمِيَاهِ .

صَاحَ أَخَابُ : « إِلَى الْقَوَارِبِ ، يَا رِجَالُ ! أَمَّا أَنْتَ ، يَا سَيِّدَ سِتَارَبِكَ ، فَعَلَيْكَ بِالْبَقَاءِ فِي السَّفِينَةِ ، وَتَوَلَّ مَسْئُولِيَّةَ قِيَادَتِهَا . وَعَلَيْكَ أَنْ تَسِيرَ بِهَا مُتَّبِعًا قَوَارِبَ الصَّيْدِ وَمُرَاعِيًا الْمَسَافَةَ الْمَلَائِمَةَ . »

انْطَلَقَتْ ثَلَاثَةُ قَوَارِبَ فَقَطَّ مِنْ السَّفِينَةِ إِلَى الْبَحْرِ . وَفِي الْحَالِ ، اسْتَدَارَ مُوبِي دِكْ سَابِحًا فِي أَعْقَابِهَا ، وَكَانَ قَارِبُ الرُّبَّانِ فِي وَسْطِهَا . وَاسْتَجْمَعَ الْحَوْتُ الْأَبْيَضُ كُلَّ طَاقَتِهِ وَسُرْعَتِهِ ، وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَتْ فِيهِ الْحِرَابُ تَتَقَاطَرُ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ اتِّجَاهٍ ، فَتَحَ فِكِّيهِ



عَنْ آخِرِهِمَا وَأَخَذَ يَهَاجِمُ فِي عُنْفٍ وَثَوْرَةٍ مُحَاوِلًا تَدْمِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَوْلَهُ ، حَتَّى تَمَكَّنَ مِنْ تَحْطِيمِ قَارِبِي فِلَاسِكَ وَسِتَابٍ بَعْدَ مَعْرَكَةٍ حَامِيَةٍ ، وَأَلْقَى بِالْبَحَّارَةِ فِي الْبَحْرِ يُصَارِعُونَ الْمَوْتَ غَرْقًا وَيُكَافِحُونَ مِنْ أَجْلِ النِّجَاةِ .

أَمَّا قَارِبُ الرُّبَّانِ فَكَانَ لَا يَزَالُ فَوْقَ سَطْحِ الْمَاءِ . وَفَجْأَةً غَطَسَ مُوْبِي دِكْ فِي الْبَحْرِ وَصَعِدَ مِنْ تَحْتِ الْقَارِبِ قَازِقًا بِهِ فِي الْهَوَاءِ ، حَيْثُ هَبَطَ مَقْلُوبًا رَأْسًا عَلَى عَقَبٍ ، وَاسْتَطَاعَ بِحَارَتِهِ بَعْدَ كِفَاحٍ مَرِيرٍ أَنْ يَشْقُوا طَرِيقَهُمْ مِنْ تَحْتِ الْقَارِبِ إِلَى سَطْحِ الْبَحْرِ .

وَلِحُسْنِ الْحِظِّ ، كَانَتِ السَّفِينَةُ يَكُونُ بِالْقُرْبِ مِنْ مَوْقِعِ الْمَعْرَكَةِ ، فَأَسْرَعَتْ بِالتَّقَاطُطِ الرُّجَالِ مِنَ الْبَحْرِ ، وَأَنْقَذَتْهُمْ .

صَاحَ الرُّبَّانُ : « أَحْصُوا الرُّجَالَ ! أَيْنَ فَيْضُ اللَّهِ ؟ مَفْقُودٌ ! لَا يُمْكِنُ تَصْدِيقُ ذَلِكَ ! » وَلَكِنَّهُ أَمَرَ وَقَعَ فِعْلًا ؛ فَلَمْ يَكُنْ فَيْضُ اللَّهِ مِنْ بَيْنِ النَّاجِينَ الْعَائِدِينَ .

قَالَ سِتَابُ : « رَأَيْتُ الْحَوْتَ الْأَبْيَضَ يَسْجُبُهُ تَحْتَ الْمَاءِ وَقَدْ التَّفَّ حَبْلُ الْحَرْبَةِ عَلَيْهِ . »

صَاحَ آخَابُ : « حَرْبَتِي ضَاعَتْ ! أَسْرِعُوا ! أَحْضِرُوا مَزِيدًا مِنَ الْحِرَابِ . زِيدُوا سُرْعَةَ السَّفِينَةِ . سَأَقْتُلُ هَذَا الْحَوْتَ رَغْمَ كُلِّ ذَلِكَ ! »

تَضَرَّعَ سِتَارِبُكَ إِلَى اللَّهِ أَنْ يُنْقِذَهُمْ جَمِيعًا مِنْ أخطَارِ الْحُمَى الَّتِي انْتَابَتِ الرُّبَّانَ بِمُطَارَدَةِ الْحَوْتَ الْأَبْيَضِ ، وَحَاوَلَ أَنْ يَرُدَّ آخَابَ إِلَى جَادَةِ الصَّوَابِ ، قَائِلًا لَهُ : « لَا فَائِدَةَ مِنَ الِاسْتِمْرَارِ فِي هَذَا الصَّرَاعِ . اتَّوَسَّلْ إِلَيْكَ ! إِنَّا لَنْ نَسْتَطِيعَ الظُّفْرَ بِهِ أَبَدًا ! وَمِنْ الْحِمَاقَةِ الطَّائِشَةِ أَنْ نَحَاوَلَ اصْطِيَادَ هَذَا الْمَخْلُوقِ الْقَاتِلِ بَعْدَ ذَلِكَ ! أَلَمْ تَرَ بِنَفْسِكَ كَيْفَ يُنَازِلُنَا وَيَخُوضُ مَعَنَا مَعَارِكَ ضَارِبَةً ؟ لَيْسَ هُنَاكَ مَا يَدْعُو إِلَى الْإِصْرَارِ عَلَى إِفْحَامِ أَنْفُسِنَا فِي هَذِهِ الْمُحَاوَلَةِ الْبِائِسَةِ ، يَا سَيِّدِي ، وَإِلَّا فَإِنَّهُ - بِكُلِّ تَأْكِيدٍ - سَيَدْفِنُنَا جَمِيعًا فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ ! »

رَدَّ عَلَيْهِ آخَابُ قَائِلًا : « إِنَّهُ الْقَدَرُ . فَيْضُ اللَّهِ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ جَيِّدًا . وَلَيْسَ فِي وَسْعِنَا أَنْ نُغَيِّرَ مَصِيرَنَا بِأَيْدِينَا . الْآنَ فَقَدْ نَا فَيْضُ اللَّهِ ، وَعَلَيَّ أَنْ أَسْتَمِرَّ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ . »

وَهَمَسَ الرُّبَّانُ قَائِلًا لِنَفْسِهِ : « كَانَ مِنَ الْمُحْتَمِّ أَنْ يَمُوتَ فَيْضُ اللَّهِ أَوَّلًا . وَلَكِنِّي سَأَرَاهُ مَرَّةً أُخْرَى قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ ، فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ مُمَكِّنًا ؟ »

لَمْ يَكُنْ فِي اسْتَطَاعَةِ الْبَحَّارَةِ إِلَّا أَنْ يُدْعِنُوا لِأَمْرِ الرُّبَّانِ ؛ فَأَقْبَلُوا مُرْغَمِينَ عَلَى إِصْلَاحِ الْقَوَارِبِ وَتَرْمِيمِهَا ، وَعَلَى إِعْدَادِ حِرَابٍ جَدِيدَةٍ ؛ اسْتِعْدَادًا لِحَوْضِ الْمَعْرَكَةِ الْقَادِمَةِ مَعَ مُوْبِي دِكْ .

صَرَخَ آخَابُ : « أَجَلُ يَا فَيْضَ اللَّهِ ! إِنِّي أَرَاكَ مَرَّةً ثَانِيَةً بَعْدَ مَوْتِكَ ؛ فَإِذَا بِجَسَدِ الْحَوْتِ هُوَ عَرَبَةُ الْمَوْتَى الْأُولَى ، وَكَمَا تَنَبَّأَتْ فَإِنَّهَا لَيْسَتْ مَصْنُوعَةً بِأَيْدِي الْعُمَّالِ ! »

تَوَسَّلَ سِتَارَبُكَ إِلَى آخَابِ مُتَضَرِّعًا : « الْحَوْتُ يَتَّعِدُ عَنَّا الْآنَ ! دَعُهُ وَشَأْنُهُ ! وَيَبْدُو أَنَّهُ عَازِفٌ عَنِ الْقِتَالِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ . أَنْتَ فَقَطُ الَّذِي لَا تَزَالُ عَلَى عِنَادِكَ وَإِصْرَارِكَ عَلَى صَيْدِهِ فِي تَهَوُّرٍ وَحِمَاقَةٍ ! »

وَلَكِنَّ آخَابَ صَمٌّ أذْنِيهِ عَنْ تَوَسُّلَاتِ سِتَارَبُكَ ؛ وَتَقَدَّمَ بِقَارِبِهِ مَرَّةً أُخْرَى نَحْوَ الْحَوْتِ ، وَأَطْلَقَ حَرْبَتَهُ بِكُلِّ مَا لَدَيْهِ مِنْ طَاقَةٍ مَكْبُوتَةٍ لِلانْتِقَامِ ، وَهُوَ يَصُبُّ أَقْسَى اللَّعْنَاتِ عَلَيْهِ .

عَادَ مُوبِي دِكْ سَرِيعًا يُهَاجِمُ الْقَارِبَ وَيَهْزُهُ مِنْ نَاحِيَةٍ لِأُخْرَى ، حَتَّى أَلْقَى بِاثْنَيْنِ مِنْ بَحَّارَتِهِ فِي الْبَحْرِ ، ثُمَّ اتَّجَهَ نَحْوَ السَّفِينَةِ يَبْكُودُ ، الَّتِي كَانَتْ بِالْقُرْبِ مِنْ هَذَا الْمَوْقِعِ ، فَاغْرَأَ فَكَّيْهِ عَلَى مِصْرَاعَيْهِمَا فِي غَضَبٍ شَدِيدٍ .

صَاحَ سِتَارَبُكَ : « احْذَرُوا الْحَوْتَ ! حَوِّلُوا الْاِتِّجَاهَ لِمُلاقَاتِهِ بِمُقَدِّمَةِ السَّفِينَةِ ! أَدِيرُوهَا بِسُرْعَةٍ ! »

وَلَكِنَّ مُوبِي دِكْ كَانَ أَسْرَعَ مِنَ الْبَحَّارَةِ ، فَهَجَمَ وَهُوَ فِي أَوْجِ هِجَاجِهِ عَلَى جَنْبِ السَّفِينَةِ وَحَطَّمَهُ بِرَأْسِهِ الضَّخْمِ ، وَأَخَذَتْ بِهِ فَجَوَّةً

## الفصل الرابع والعشرون النهاية

فِي الْيَوْمِ التَّالِي نَزَلَتْ قَوَارِبُ الصَّيِّدِ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى الْبَحْرِ . وَكَانَ الرُّبَّانُ عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّ مُوبِي دِكْ لَا يَزَالُ قَرِيبًا مِنَ السَّفِينَةِ . وَبَعْتَهُ صَاحَ رَجُلُ الْمُرَاقَبَةِ وَالْاِسْتِطْلَاعِ مُشِيرًا إِلَى ظَهْوَرِ الْحَوْتِ الْأَبْيَضِ . وَحَمَلُوا الْجَمِيعُ وَانْتَصَبُوا فِي صِمْتٍ ، كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرَ ، فَإِذَا بِهِمْ يُشَاهِدُونَ الْحَوْتَ الْمُفْتَرَسَ يَخْرُجُ مِنَ الْبَحْرِ ثَائِرًا هَائِجًا لَا تَزَالُ الْحِرَابُ وَالرَّمَا حُ مَغْرُوزَةً فِي جَسَدِهِ ، وَالْحِبَالُ الْمُرْبُوطَةُ بِهَا مَلْفُوفَةٌ حَوْلَهُ ، وَقَدْ جُنَّ جُنُونُهُ بِسَبَبِ الْأَلَامِ الَّتِي تَعْتَصِرُهُ ؛ فَأَخَذَ يَضْرِبُ بِذَيْلِهِ بَيْنَ الْقَوَارِبِ فِي عُنْفٍ وَضَرَاوَةٍ ، يَقْلِبُهَا وَيَحْطُمُهَا . وَعِنْدَمَا اقْتَرَبَ الْحَوْتُ سَابِحًا يَتَلَوَّى بَيْنَ الْأَمْوَاجِ ، دَوَّتْ صَيْحَةُ فَرَعٍ مِنْ أَعْمَاقِ الْبَحَّارَةِ ، حِينَ وَقَعَتْ عُيُونُهُمْ عَلَى جُثَّةِ فَيْضِ اللَّهِ مُلْتَصِقَةً بِجَسَدِ الْحَوْتِ ، مُمَزَّقَةً الْأَشْلَاءِ ، تُحِيطُ بِهَا حِبَالُ الْحِرَابِ ، وَتَنْظُرُ عَيْنَاهَا الْجَا حِظَّتَانِ رَأْسًا إِلَى آخَابِ فِي رُغْبٍ .

أَنَدَفَعَتِ الْمِيَاهُ بِشِدَّةٍ مِنْ خِلَالِهَا إِلَى دَاخِلِ السَّفِينَةِ .

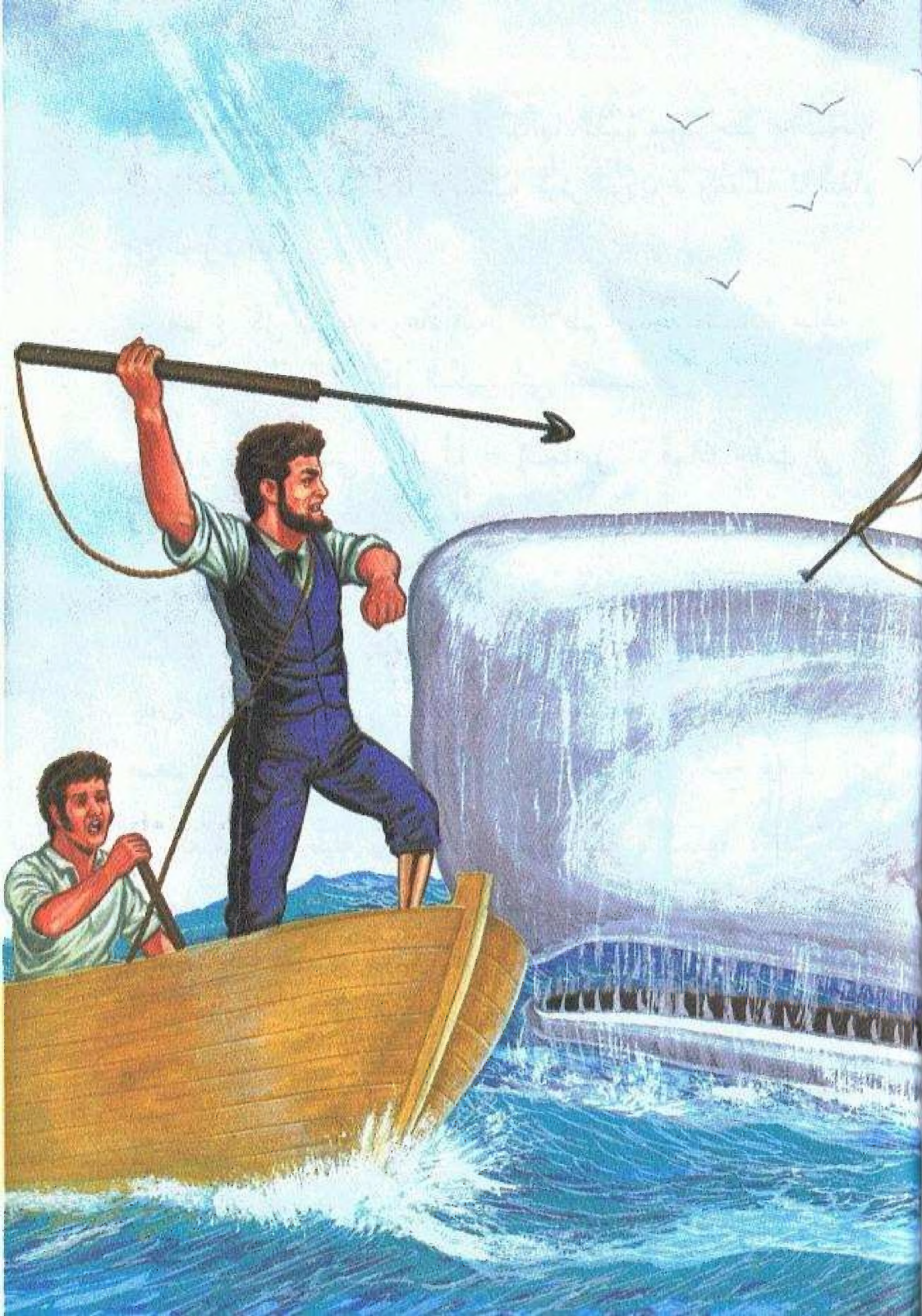
صَرَخَ آخَابُ مِنْ قَارِبِهِ وَقَدْ انْتَابَتْهُ حَالَةٌ مِنَ الْجُنُونِ : « السَّفِينَةُ !  
السَّفِينَةُ ! أَصْبَحَتْ عَرَبَةً الْمَوْتَى الثَّانِيَةَ لِلْبَحَارَةِ كُلِّهِمْ ! كَمَا تَنبَأُ  
فَيُضُّ اللَّهُ بِأَنَّهَا سَتَكُونُ مَصْنُوعَةً مِنْ أَخْشَابِ أَمْرِيكَ . وَلَكِنَّ هَذِهِ  
النُّعُوشَ وَهَذِهِ الْعَرَبَاتِ سَتَغُوصُ فِي الْبَحْرِ حَيْثُ تُدْفَنُ الْمَوْتَى فِيهِ !  
وَكُنْ أَمُوتَ أَنَا بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ ، بَلِ الْحَبْلُ فَقَطْ سَيَكُونُ سَبَبَ مَوْتِي .  
إِذَا دَعَنِي أُرْبِطُ نَفْسِي بِكَ أَيُّهَا الْحَوْتُ الشَّيْطَانِيُّ الْخَبِيثُ ! »

وَأُطْلِقَ حَرْبَةً نَحْوَ الْحَوْتُ ، وَلَكِنَّ الْحَبْلَ الْمُرْبُوطَ بِهَا تَعَثَّرَ  
بِالْقَارِبِ ، فَأَنْحَنَى آخَابُ لِيُخَلِّصَهُ وَلَكِنَّهُ التَفَّ حَوْلَ عُنُقِهِ ، فَسَقَطَ  
فِي الْبَحْرِ قَبْلَ أَنْ يَكْتَشِفَ الْبَحَّارَانِ الْبَاقِيَانِ عَرْقَهُ .

وَعِنْدَمَا اسْتَدَارَا نَحْوَ السَّفِينَةِ صَاحَا فِي دَهْشَةٍ وَلَوْعَةٍ : « السَّفِينَةُ !  
أَيْنَ السَّفِينَةُ ! انْشَقَّ الْبَحْرُ وَابْتَلَعَتْهَا الْمِيَاهُ ! »

لَمْ يَعُدْ ظَاهِرًا فَوْقَ سَطْحِ الْبَحْرِ إِلَّا صَارِي السَّفِينَةِ فَقَطْ ، وَالْمِيَاهُ  
تَدَوَّرُ فِي دَوَّامَاتٍ حَوْلَ الْمَوْقِعِ ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَغُوصُ فِيهِ السَّفِينَةُ  
فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ .

وظَلَّ تَاشِيعُو مُتَشَبِّهًا بِقِمَّةِ الصَّارِي ، وَكَانَ آخِرَ مَنْ اخْتَفَى فِي  
قَلْبِ دَوَّامَاتِ الْمِيَاهِ . وَلَمْ يَبْقَ حِينَئِذٍ إِلَّا طَيُورُ الْبَحْرِ تُحَلِّقُ فَوْقَ



الْمَكَانِ ، وَهِيَ تَنَعَّقُ بِأَصْوَاتٍ ، كَأَنَّهَا تَتَدَبُّ سَوْءَ حَظِّ الضَّحَايَا  
الَّذِينَ فَقَدُوا أَرْوَاحَهُمْ غَرَقًا ؛ بِسَبَبِ طَيْشِ الرُّبَّانِ ، وَتَعْطُشِهِ لِلِاتِّتِقَامِ  
مِنَ الْحَوْتِ الْمُفْتَرَسِ .

ضَاعَ كُلُّ شَيْءٍ ، وَعَادَ الْبَحْرُ تَتَلَاطَمُ أَمْوَاجُهُ وَتَنَسَابُ مِيَاهُهُ ،  
كَمَا هِيَ عَادَتُهُ طَوَالَ كُلِّ السَّنِينَ الَّتِي انْقَضَتْ مِنْ قَبْلُ .

هَذِهِ نِهَآيَةُ قِصَّتِي . أَمَّا أَنَا - إِسْمَاعِيلُ ، فَمَاذَا حَدَّثَ لِي ؟  
وَكَيْفَ نَجَوْتُ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ الْمُخِيفِ ؟

تَخَلَّصَ التَّابُوتُ - الَّذِي أَحْيَلَ مِنْ قَبْلُ إِلَى طَوْقِ نَجَاةٍ - مِنْ  
السَّفِينَةِ بِبُكَودٍ وَهِيَ تَغْوِصُ فِي الْبَحْرِ ، وَلِحُسْنِ حَظِّي ، وَقَبْلَ أَنْ  
يَدْبُ الْيَأْسُ فِي نَفْسِي ، وَأَنَا مَا زِلْتُ مَشْدُوهَا مِنْ هَوْلِ الْمَفَاجِئَةِ ،  
صَعِدَ التَّابُوتُ إِلَى السُّطْحِ بِالقُرْبِ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي أَسْبَحُ فِيهِ .

وَتَعَلَّقْتُ بِهِ طِيلَةً يَوْمٍ كَامِلٍ وَطَوَالَ لَيْلَةٍ بِأَكْمَلِهَا ، تَدَارَكْتَنِي  
فِيهِمَا رَحْمَةُ اللَّهِ وَحِمَايَتُهُ ؛ فَلَمْ تُصَادِفْنِي أَسْمَاكُ الْقِرْشِ أَوْ كِلَابُ  
الْبَحْرِ . وَهُنَا تَذَكَّرْتُ بُبُوَّةَ فَيْضِ اللَّهِ عَنْ تَابُوتِ الْمُوتَى الَّذِي يَحْمِلُ  
رَجُلًا مَا زَالَ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ .

وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي ، رَأَيْتُ شِرَاعًا لِسَفِينَةٍ يَظْهَرُ فِي الْأَقْفِ الْبَعِيدِ .  
وَلِحُسْنِ الْحَظِّ الَّذِي لَازَمَنِي ، رَأَيْتُ بِحَارَتَهَا وَانْتَشَلُونِي مِنَ الْبَحْرِ ،

وَأَنْقَذُونِي مِنْ مَصِيرٍ مَحْتُومٍ . وَتَبَيَّنَتْ أَنَّهَا السَّفِينَةُ رَاشِيلَ الَّتِي كَانَتْ  
لَا تَزَالُ تَبْحَثُ عَنْ أَبْنَائِهَا الْمَفْقُودِينَ ، فَلَمْ تَعَثُرْ إِلَّا عَلَى بَحَارٍ آخَرَ  
مَفْقُودٍ .

## المغامرات المثيرة

- ١ - مغامرة في الأدغال
- ٢ - مغامرة في الفضاء
- ٣ - مغامرة أسيرين
- ٤ - مغامرة في الجزيرة الخضراء
- ٥ - مغامرة على الشاطئ
- ٦ - الجاسوس الطائر
- ٧ - لصوص الطريق
- ٨ - حمد الغواص الشجاع
- ٩ - اللسان الغيبان
- ١٠ - مطاردة لصوص السيارات
- ١١ - مغامرات السندباد البحري
- ١٢ - لعبة خطرة
- ١٣ - الحشرة الذهبية وقصص أخرى
- ١٤ - اللؤلؤة السوداء
- ١٥ - سر الجزيرة
- ١٦ - مغامرة في النهر
- ١٧ - شبح الحديقة وقصص أخرى
- ١٨ - سر الدرجات التسع والثلاثين
- ١٩ - الجاسوس وقصص أخرى
- ٢٠ - مغامرات توم سوير
- ٢١ - المختطف
- ٢٢ - الكمبيوتر الرهيب
- ٢٣ - الأميرة المتوحشة وقصتان أخريان
- ٢٤ - موسيقى الليل وقصتان أخريان
- ٢٥ - الشاب الأبيض
- ٢٦ - موبى دك
- ٢٧ - سر القط الفرعوني
- ٢٨ - سجين زندا
- ٢٩ - مغامرات هاكلبري فين
- ٣٠ - الفرسان الثلاثة

مَكْتَبَةُ لَبْنَان

سَاحَةُ رِيَّاضِ الصَّلَاحِ - بَكْرُوت

